الأدب الإسلامي
بين المؤيدين والمعارضين

دكتور
عمر عبد العزيز الحسينى

مفـــتتح

الحمد لله رب العالمين ... والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه أجمعين .....

وبعد .....

فلعل وجود الأدب الإسلامى كمـــذهب أدبـــى لـــه أصـــوله وخصائصـــه ومميزاته،أصبح أمراً واقعاً مسلماً به فى الأوساط الأدبية،خاصة بعد أن تتابعـــت البحوث والدراسات والمقالات التى تتبنى الفكرة الأدبية الإسلامية من جهة،والتى قننت وقعّدت لهذا المذهب نقدياً من جهة أخرى،فضلا عن فيض مميز من الإبداع الأدبى الإسلامى على مدى عصور متطاولة .

من هنا كان للأدب الإسلامى ضرورة الوجود التى فرضت عليه المـــيلاد النقدى ـــ كمذهب ـــ فى مرحلة لا تبتعد كثيراً عن ثلث قرن قد مضـــى،وألحت إلحاحاً ظاهراً فى رسم أبعاد المذهب،خاصة بعد وفود الموجات والمذاهب الأدبية الوافدة من الغرب،وقد صاحب الوجود للأدب الإســـلامى ظهـــور موجـــة مـــن المعارضين،فأخذوا يوجهون إلى الأدب الإسلامى الانتقادات سواء أكانـــت هـــذه النقدات تتعلق بالشكل أم بالمضمون،وقد رد على هذه الشبهات عدد من النقاد من أهمهم:الأستاذ الدكتور/على على صبح حيث أجاب عن سبعين سؤالاً حول الأدب الإسلامى[1]،وسوف نعرض فى هذه الصفحات بعضاً من قضايا الأدب الإسلامى التى دار حولها خلاف بين مؤيديه ومعارضيه خاصة قضية الشكل الفنى للأدب الإسلامى .

---

(١) مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد (٢٠)

مفهوم الأدب الإسلامى

عندما يطلق مصطلح الأدب الإسلامى يتبادر إلى ذهن بعض محدودى النظر بأنه الأدب الذى يدور فى أحد المفاهيم الآتية :

١- أنه الأدب الذى يتناول عصر صدر الإسلام ، والدولة الأموية ، بالدراسة والنقد ، والتحليل ، وهى رؤية زمانية تاريخية،لا يدل فيها لفظ الإسلام إلا على المرحلة الزمانية التاريخية التى تمثلت فى وقت مبعثه ﷺ ، فلفظ الإسلام هنا تمييز لمرحلة تاريخية ، كما أن لفظ العباسى والعثمانى تمييز لحقبة تاريخية أيضاً .

٢- أنه شعر الزهد ، والوعظ ، والحكمة ، والمدائح النبوية ، وأشعار الصوفية فقط دون غيرها من الموضوعات ، وقد كان السبب تسرب هذه النظرة إلى ذهن البعض طغيان الفكر الصوفى بما أحيط به من خرافات وخزعبلات لا تتفق مع الفكر الإسلامى ولا مع معنى الصوفية فى شىء

٣- أنه الشعر الذى ينبع من التصور الإسلامى بكل خصائصه ومقوماته مع براعته الفنية والأدبية التى تسمو به من مستوى السطحية والمباشرة التقريرية،وترتفع به إلى ماهو ألصق بالمضمون الشعرى المتميز الصادق

وربما كان هذا التردد فى مفهوم الأدب الإسلامى سبباً فى ظهور نوع من الالتباس فى ذهن بعض المثقفين نحو هذا الاتجاه الأدبى .

ولعل من أوائل الكتاب الذين قاموا بريادة التقنين للأدب الإسلامى الأستاذ/ محمد قطب ، وذلك فى كتابه المميز "منهج الفن الإسلامى" ثم تبعه فيض من الكتاب والنقاد ببحوث ومقالات جمة .

وقد كان أول ما سعى إليه الأستاذ/محمد قطب ، كشف اللثام عن الأدب الإسلامى ، فعرفه بقوله : " هو الفن الذى يرسم طريقة الوجود من زاوية

التصور الإسلامى لهذا الوجود،هـو التعبيـر الجميـل عـن الكـون والحيـاة والإنسان،من خلال تصور الإسلام للكـون والحياة والإنسان،هو الفن الذى يهيئ اللقاء الكامل بين الجمال والحق " [١]

وهذا التعريف لا يختلف عن تعريف الأدب بصفة عامة ، فى كونه التعبير الفنى الجميل **فالدكتور/محمد عنانى يعرف الأدب بقوله :** " فن جميل يتوسل باللغة " [٢]

وعرفه الأستاذ سيد قطب بقوله : " التعبير عن تجربة شـعورية فـى صورة موحية " [٣] فالجمال فى الأدب هو الطبيعة الأساسية فى ذاتـه ، وهـذه التعريفات وغيرها " لا تتعارض مع تصورنا للأدب الإسلامى ، فبالنظرة المتأنية يتبين أن الأدب – بتلك التعريفات – لا يخرج عن النطاق الإنسانى ، سواء أكان تعبيراً عن تجربة شعورية ، أم كان صياغة فنية لتجربة بشرية ، اللهـم إلا إذا كانت التجربة تتصادم مع الفطرة الإنسانية أو تتجاهلها " [٤] .

وهذه بحق طبيعة الفن الإسلامى ، الذى لا يتخلى عن الفن ، باعتباره أحد مقوماته الجمالية ولا يتخلى عن المضمون الذى يتفق مع الفطرة الإنسانية فـى استوائها وتكاملها ، وهذا التعريف ارتضاه كثير من الدارسين وساروا جميعـاً فى موكب التأييد له ، مع اختلافهم فى الصياغة [٥] .

---

(١) منهج الفن الإسلامى/محمد قطب ص٦-دار الشروق – الطبعة السابعة ١٩٨٧.

(٢) الأدب وفنونه د/محمدعنانىص١٩ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م

(٣) النقد الأدبى أصوله ومناهجه . أ / سيد قطب : ص ٧- طبعة دار الشروق .

(٤) مدخل إسلامى لدراسة الأدب العربى المعاصر . أ.د / إبـراهيم عوضـين : ص٩١ مطبعة السعادة الطبعة الأولى سنة ١٩٩٠م ..

(٥) على رأس هؤلاء الكتاب . الدكتور/ عبد الرحمن رأفت الباشا فى كتابه نحـو مـذهب إسلامى: ص ٩٦ ، والدكتور إبراهيم عوضين فى كتابه مدخل إسـلامى : ص ٩١ ، والدكتور/ مصطفى هدارة فى مقال بعنوان الالتزام فى الأدب الإسلامى نشـر ضـمن

وقد عرفه الدكتور/نجيب الكيلانى بعدما ذكر مميزاته من أنه ليس أدباً عبثياً أو غامضاً مبهماً أو قاصراً محدوداً أو يتسم أدباؤه بالهروب والانزواء،أو أنه يتنكر للقيم الفنية الجمالية.... ذكر الدكتور الكيلانى هذه النواحى وعقب بعدها بتعريف الأدب الإسلامى فقال:"هوتعبير فنى جميل مؤثر،نابع من ذات مؤمنة،مترجم عن الحياة والإنسان والكون،وفق الأسس القائدية للمسلم،وباعث للمتعة والمنفعة،ومحرك للوجدان والفكر،ومحفز لاتخاذ موقف والقيام بنشاط ما" (١)

وهذا التعريف يتناول جانب التعبير الفنى الجميل المؤثر بل إن الدكتور نجيب الكيلانى بدأ به وأشار إلى أهميته فى صدر التعريف وهو بذلك يؤكد على العلاقة الوثيقة بين الأدب الإسلامى والمقومات الفنية الجمالية للعمل الأدبى وهو يضىء بقوله :(نابع ....) جانباً عميقاً من جوانب الفن المتمثل فى العاطفة والتجربة التى لابد أن تنبع من داخل النفس،كما لا ينسى أن يشير إلى قيد الإسلام (ذات مؤمنة....) كما كشف عن وظيفة الأدب الإسلامى وهى التعبير عن الحياة والإنسان والكون وابتعاث المتعة والمنفعة لحريك الوجدان والفكر لاتخاذ موقف ما .

وقد ذكر الدكتور/محمد مصطفى هدارة بعضاً من تعريفات الأدب الإسلامى وذلك فى بحثه المنشور ضمن بحوث ندوة الأدب الإسلامى المنعقدة بالرياض سنة ١٤٠٥هـ بعنوان الالتزام فى الأدب الإسلامى من هذه التعريفات أنه (أدب صادر عن أديب مسلم) ويرى آخرون أنه(كل أدب فيه ذكر للإسلام

بحوث ندوة الأدب الإسلامى المنعقدة بالرياض سنة ١٤٠٥هـ : ص ١٩ ، والدكتور/ جابر قميحة فى مقال له بمجلة الدارة شهر شوال سنة ١٤١٤هـ بعنوان نعم لمصطلح الأدب الإسلامى ص ٧٥ – وغير ذلك من الكتاب .

(١) مدخل إلى الأدب الإسلامى د/ نجيب الكيلانى ص٣٦ طبعة سلسلة كتاب الأمة بقطر الطبعة الأولى جمادى الآخرة ١٤٠٧هـ.

هو أدب إسلامى) ويعرفه فريق ثالث بأنه (ما ينبغى أن يتناول مفهوماً من مفاهيم الإسلام،أو الذى تتمثل فيه المعانى الإسلامية وأقوال الرسول ﷺ وعلماء الأمة الإسلامية رضي الله عنهم) .

وهذه التعريفات كلها تفتقر إلى محدودية أكثر ودقة فى رسم إطار المفهوم الإسلامى ، فالتعريف الأول:لا حدود له ولا قيود تضبطه،فهو لا يمنع من دخول إبداع أى شاعر آخر لا يتمثل الفكر الإسلامى،رغم أنه قد يكون مسلماً عقيدة،وما أكثر هؤلاء الشعراء الذين لا يتمثلون المنهج الإسلامى فى إبداعهم رغم أنهم قد ينتسبون إلى الدين الإسلامى فهو تعريف فضفاض واسع .....وكذلك التعريف الثانى: فهل كل ما يذكر فيه الإسلام يكون أدباً إسلامياً؟.....إن أدباء الإسلام ربما لا يذكرون الإسلام عند تعرضهم لقضايا الأمة السياسية والاجتماعية ، أو حتى تعاملهم مع جزئيات الطبيعة ،ومع ذلك فإن الفكر الإسلامى ينطق عن نفسه فى تضاعيف المعانى والأفكار فالإسلام يدعو إلى محاربة المستعمر،فإذا ما رأينا شاعراً يشيد بنضال أمة مناضلة ويستحث فى أمته روح النضال والقتال ، فإنه بذلك يعبر عن معنى إسلامى رغم أنه قد لا يصرح بذكر الإسلام ..... أما التعريف الثالث: فإنه يؤدى إلى جمود النظرة تجاه الإبداع الأدبى الذى يتمثل التراث من حيث احتذاء المعانى الإسلامية واقوال الرسول ﷺ فهذا التعريف " يوحى بأن ينشأ هذا الأدب مقيداً ويكون نظماً وفقاً لأسس وقواعد مسبقة حيث سيضع الأديب أمامه تراث الإسلام من قرآن وسنة و أقوال الصحابة ثم ينتج على أساسها أدبه ، وهذا لا يكون أدباً بالمعنى المعروف للأدب من أنه تعبير تلقائى عن موقف محدد للاديب من الحياة،ويعتبر الأدب بذلك نوعاً من النظم..."[1]

وليس معنى هذا تجاهل الإبداع الأدبى الإسلامى المتمثل فى القرآن والسنة

---

(١) الأدب الإسلامى أصوله وقضاياه د/ محمد على سلامة ص ٦٥ نشر مكتبة الآداب

النبوية ،والذى يمثل نموذجاً بديعاً رفيع المستوى،وعلى الأدباء أن يحتذوا دربه فى براعة النظم وحسن التنظيم ودقة التأليف وغير ذلك من الإمكانات التعبيرية الفنية التى تثرى العمل الأدبى بالجماليات .

ومن التعريفات للأدب الإسلامى تعريف الدكتور/عبد الرحمن رأفت الباشا فى كتابه/نحو مذهب إسلامى حيث يقول:" الأدب الإسلامى هو التعبير الفنى الهادف عن وقع الحياة والكون والإنسان على وجدان الأديب تعبيراًينبع من التصور الإسلامى للخالق عز وجل ومخلوقاته " (١)

وقد نقد بعض الباحثين تعبير الدكتور/ الباشا فى قوله : (عن وقع الحياة) وعد ذلك تجميداً لرؤية الشاعر فهو بذلك كالمرآة يصور ما يراه واقترح بديلاً لهذا اللفظ وهو " الأدب الإسلامى هو التعبير الفنى الهادف عن رؤية الأديب فى الواقع والكون والإنسان تعبيراً ينبع من التصور الإسلامى"(٢)

ووقفة قصيرة حيال تعريف الأستاذ/محمد قطب – يتضح أنه أطوع التعريفات لما نحن بصدده من دراسة الأدب الإسلامى وذلك لأنه نوّه على أهمية القيم الفنية التعبيرية فى الأدب،كما أنه حدد قيمة الفن الإسلامى وغاياته من خلال علاقته بالتصور الإسلامى للكون والإنسان والحياة،فهو تصور نابع من وجدان الأديب المسلم الذى أحس بالأشياء .

وهذا التعريف يراعى الأبعاد النفسية الإنسانية فى شقيها المادى والمعنوى، كما أنه يوضح النبع الذى يستقى منه الأديب فكره وهو الإسلام ، فتعبيره عن أثر الكون والحياة على وجدان الأديب ، لا يخرج عن نطاق التصور الإسلامى حيال المخلوقات .

---

(١) نحو مذهب إسلامى فى الأدب والنقد ص ٩٣

(٢) الأدب الإسلامى أصوله وقضاياه د/ محمد على سلامة ص ٦٨

ورغم هذا القيد الذى وضعه الأستاذ /محمد قطب من ضرورة أن يكون الأدب نابعاً من التصور الإسلامى ، وأن يكون الجدول الذى يروى وجدان الأديب يجرى بفكر الإسلام ويفيض بنور الإيمان إلاّ أنه خالف نفسه حينما أجاز أن نطلق على إبداع طاغور ومن على شاكلته أدباً إسلامياً ..... فهل كانت أبعاد الرؤية الشعرية عند طاغور ، تنبع من خلال التصور الإسلامى ؟....

وبعد ... فقد يطرح سؤال نفسه . هل هذا التصور الإسلامى للأدب لابد أن يكون مبدعه أديباً مسلماً ، أم يجوز أن نطلقه على شعر أى شاعر – مسلم أو غير مسلم – طالما اتفق مع الفطرة الإسلامية ؟

لقد تعرض النقاد والدارسون ومن تناولوا هذا الموضوع لكثير من الجدل والنقاش حول تلك القضية ، فبعضهم يرى أن مصطلح الأدب الإسلامى يطلق على أى أديب توافق فنه مع مبادئ الإسلام ، والفطرة الإنسانية ، محتجين لذلك بأن الأدب – الذى هو موضوع النقاش – يتفق مع الفكر الإسلامى ، فالحكم هنا على الأدب بإسلاميته أو عدمها ، وعلى ذلك فإن ما كتبه كبار الشعراء ممن لا يدينون بدين الإسلام ، ويتفق والإسلام ، يسمى أدباً إسلامياً ، مثل ما كتبه طاغور – شاعر الهند الكبير – وهو بوذى العقيدة.

أما الرأى الثانى : فيرى خلاف ما رآه السابقون حيث يشترط أن يكون الأديب مسلماً ، حتى يكون أدبه نموذجاً لفكر المسلم ، الذى نبع فنه – عن قصد – من خلال التصور الشامل للإسلام ، وليس مجرد جزئيات بسيطة اتفق فيها مع الإسلام ، بحكم فطرته الإنسانية

ولعل الأستاذ محمد قطب أول من ذهب إلى عدم التقيد بإسلام الأديب وانتمائه العقدى للإسلام، والدليل على ذلك أنه اختار من بين الشخصيات التى تناولها بالدراسة الأدبية الإسلامية الشاعر الهندى [طاغور] يقول:" ومع ذلك فإن التصور الفنى الإسلامى للكون والحياة والإنسان،هو تصور كونى

إنسانى،مفتوح للبشرية كلها،لأنه يخاطب الإنسان من حيث هو إنسان،ويلتقى معه كذلك من حيث هو إنسان ومن ثم يستطيع أى إنسان أن يتجاوب مع هذا التصور ويتلقى الحياة من خلاله"[١] فالدافع له إلى هذه الوجهة يتمثل فى كينونة الأدب ذاته،وما يحتويه من أفكار فطرية إنسانية بعيداً عن إسلام قائله وعدمه،وقد وافق أ/محمد قطب فى هذا الأمر عددٌ من الدارسين ، منهم الأستاذ الدكتور/إبراهيم عوضين فى كتابه(مدخل إسلامى لدراسة الأدب العربى المعاصر)[٢] .

ولعل مسألة إسلام الأديب أمر لا يمكن تجاهله أو إنكاره ، فالنص الأدبى ما هو إلا جزء من قائله ، أما أن بعض الأدباء من غير المسلمين كتبوا شعراً يتفق مع الإسلام ، فهو اتفاق مع الفطرة ، وسرعان ما يختلف معها فى باقى شعره ، فلا يمكن الاجتزاء بالبعض للحكم على الشاعر كليةً .

وإذا رجعنا إلى تعريف الأستاذ/محمد قطب نجد أنه يقوم على ثلاث ركائز : وهى التصور الإسلامى للإنسان والكون والحياة ، وقد أوضح الدكتور : رأفت الباشا ، العلاقة بين الأدب والإسلام بأنها " تنبع من التصور الإسلامى للخالق عز وجل ومخلوقاته " [٣] فعلاقة هذا الأدب بالله عز وجل تقوم على أساس متين " يتسم بالوضوح والصحة واليسر بشكل لا نعهد له نظير فى المعتقدات الأخرى، فهو تصور برىء من وثنية الرومان واليونان والفرس كما برىء من انحرافات اليهودية والنصرانية وتعقيداتها وفلسفاتها " [٤] أما علاقته بالكون " فإنه فى التصور الإسلامى آية من آيات الله الكبرى وصورة فذة من صور قدرته العظمى

---

(١) منهج الفن الإسلامى . أ / محمد قطب : ص١٨٣ .

(٢) مدخل إسلامى لدراسة الأدب العربى المعاصرأد / إبراهيم عوضين : ص١٦١ .

(٣) نحو مذهب إسلامى فى الأدب والنقد . د/ عبد الرحمن رأفت الباشا : ص ٩٦ - دار الأدب الإسلامى الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٦م.

(٤) السابق : ص ١٠٣ .

، وشاهد ما بعده شاهد على وجود الله عز وجل وكماله "[١] أما الإنسان في التصور الإسلامي فإنه " جسد وروح ، أو قبضة من طين ونفخة من روح الله ، ولا تتم إنسانية الإنسان إلا بهذين العنصرين "[٢]

وفى تحديد هذه العلاقة نلاحظ إلى أى مدى كان التوازن بادياً في الأدب الإسلامى ،فلم يقف جامداً أمام عنصر من عناصر الوجود على حساب باقى العناصر ، لذا تمثلت فى الأدب الإسلامى " تلك الرؤية التى تمكن الأديب المسلم من رؤية ما يجرى فى هذا الوجود بصفاء ، بل هى الرؤية التى تفتح أمام الأديب نوافذ الحياة الدنيا والآخرة ،من خلال تلك الروح المسلمة التى تتميز بشفافية لا نظير لها "[٣] .

وقبل أن ننتهى من الحديث عن مفهوم الأدب الإسلامى يجدر بنا أن نشير إلى أكثر التعريفات دقة فى تحديد مفهوم الأدب الأدب الإسلامى ، وهو تعريف الأستاذ الدكتور/على صبح فى كتابه الرائد المميز[الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق] فقال:" هو التصوير الفنى الجميل للكائنات حية كانت أو جامدة،التى سخرها الله تعالى للإنسان فى الحياة والكون،يستمد الأديب قيمه الخلقية والفنية من حضارة الإسلام المتجددة قديما وحديثاً وفى المستقبل،تصويرا حيا نابضا بالصدق الفنى يثير العواطف والانفعالات ويحرك المشاعر والأحاسيس ويثرى الوجدان والخواطر سواء باللغة العربية أم بلغات الشعوب الإسلامية غير العربية "[٤]

---

(١) السابق : ص ١٠٩ .

(٢) نحو مذهب إسلامى فى الأدب والنقد : ص ١١٧.

(٣) الاتجاه الإسلامى فى شعر محمود غنيم دراسة موضوعية وفنية- ا.د/عبداللطيف محمد الحديدى : ص٢٩- طبعة دار المعرفة بالمنصورة- الطبعة الأولى ١٩٩٨ م.

(٤) الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق الأستاذ الدكتور /على صبح / الجزء الثالث ص٣١٠ــ ٣١١ ــ ١٤١٨هـــ١٩٩٨م

وقد امتاز هذا التعريف عن باقى التعريفات بأمور،منها:

"١ــ حيوية التصوير الفنى وتجدده ٢ــ إيثار(التصــوير)لا(التعبيــر)لأن الأول أشمل لروافد الأدب ولغيرهامن عناصرالتصويركاللون والحركة .. ٣ــإبراز أثر التصوير فى عواطف الآخرين .. ٤ــ التصريح بمصطلح الصدق الفنى... ٥ــ توسيع حقل الأدب الإسلامى ليضم إليه أدب لغات الشــعوب الإســلامية غيــر العربية كالهند وتركيا والباكستان ..."[١]

من هنا كان هذا التعريف أكثر تعريفات الأدب الإسلامى دقة فــى تحديــد مفهومه والمقصود منه وكذلك غايته وأهدافه وسماته .

(١ السابق ص ٣١١ ـ ٣١٢ بتصرف يسير

الأدب الإسلامى
بين المؤيدين والمعارضين

الأدب الإسلامى من أهم الاتجاهات الأدبية التى دار حولها عراك أدبى بين مؤيد ومعارض،ولعل من أهم الأسباب التى دعت الرواد الأوائل فى القرن الماضى إلى مناصرة هذه القضية؛السعى الدائب من قبل الحملات التبشيرية والصهيونية والصليبية،لتشتيت الكيان العربى ثقافياً،علاوة على ما سعوا إليه من هجوم عسكرى واقتصادى على مدى عصور متلاحقة .

" والأدب الإسلامى لا يحتاج دفاعاً،عنه لأنه حقيقة تاريخية،لا يمكن انكارها،وقطعة حية وحيوية من النشاط الإنسانى فى الوجود ؛ لأنه فن انسانى واقع فى الحياة،وصورة تنبض بها أسمى العواطف والقيم الخلقية والإنسانية تصدر عن إيمان صادق عامر بالإيمان والحب،منذ أنعم الله على البشرية والوجود كله بنعمة الإيمان فى عصر صدر الإسلام " (١)

وقد امتلأت بعض الدراسات والمجلات الأدبية بالنقدات التى وجهت إلى الأدب الإسلامى بدعوى أنه يحطم الكيان الفنى الأدبى،من خلال أسسٍ استندوا إليها كوعظيته وأسلوبه المباشر،وافتقاره إلى الخصائص والقيم الفنية التى تثرى النص الأدبى،فضلاً عن بعض الإشكاليات التى تتعلق به كاتجاه أدبى،كالخلاف حول المصطلح وكمحدودية الموضوعات وعلاقة الإسلام بالشعر والدين بالأدب والأدب الإسلامى بالأدب العربى.

وانطلاقا من هذا الأمر فسنحاول الكشف عن هذه النقدات التى وجهت إلى الأدب الإسلامى من معارضيه والرد عليها .

---

(١) الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق أ.د/على على صبح ٢٨٩/٣

مصطلح الأدب الإسلامى
بين المؤيدين والمعارضين

لعل شبهة المصطلح من أهم الشبهات التى دار حولها نقاش شديد ، وقد قدم الدكتور/عبد القدوس أبو صالح فى مجلة الأدب الإسلامى [١] بحثاً طيباً حول هذا الموضوع وتعرض للموازنة بين بعض المصطلحات التى قدمها بعض النقاد كبديل لمصطلح الأدب الإسلامى مثل " أدب الفكرة الإسلامية " و " أدب العقيدة الإسلامية " و " أدب الفكر الإسلامى " و" أدب الدعوة الإسلامية " و" الأدب الدينى " و" الفن الإسلامى " ولعل أكثر هذه المصطلحات شيوعاً بجانب مصطلح الأدب الإسلامى مصطلح "أدب الدعوة الإسلامية " وقد ظهرت دراسات بهذا الاسم منها كتاب "دراسات فى أدب الدعوة الإسلامية " للدكتور/ محمد حسن زينى (السعودية) وكتاب " من أدب الدعوة الإسلامية " للدكتور/عباس الجرارى (المغرب) وكتاب"أدب الدعوة الإسلامية للدكتور/ مصطفى يونس (مصر) و" أدب الدعوة الإسلامية للأستاذ/بدر الحسن القاسمى (من بحوث الندوة الإسلامية للأدب الإسلامى)وسلسلة شعراء الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث للأستاذين أحمد الجدع وحسنى أدهم جرار [٢] .

ويرفض الدكتور/عبد القدوس أبو صالح هذه البدائل التى طرحها مفكرون إسلاميون وينتقد كل واحد منها على حدة ، فأدب الدعوة يمثل جانباً واحداً من الأدب الإسلامى ، وهو جانب الدعوة ، فى حين أن مصطلح الأدب الإسلامى أوسع فى نظرته الشاملة لكل الأشياء والموضوعات وتجربته الإنسانية التى تتعلق بالكون الفسيح .... فهو مصطلح قاصر أمام مصطلح الأدب الإسلامى .

---

(١) السنة الثانية العدد ٨ جمادى الآخرة سنة ١٤١٦هـ .

(٢) يراجع فى هذا الأمر كتاب الأدب الإسلامى ضرورة د/ أحمد محمد على ، دار الصحوة ، الطبعة الأولى ١٤١١هـ ١٩٩١م .

أما مصطلح الاتجاه الإسلامى فهو يهون من شأن الأدب الإسلامى ويجعله مجرد اتجاه يظهر ويختفى من حين لآخر " وكأن الإسلام الـذى أوجـد الأمـة الإسلامية وميزها بما فيه من خصائص التصور الإسلامى لم يوجد فى أدب هذه الأمة ما يتجاوز الاتجاه ليكـون أدباً إسلاميـاً لـه مفهومه المتميز وسماتـه الخاصة به"[1] من هنا كان رفض هذا المصطلح

أما مصطلح الأدب المسلم فقد عبر الدكتور/عبد القدوس عن أنـه مجـرد تغيير لفظى وبالتالى فإن مصطلح الأدب الإسلامى أفضل .

وقد كان الدكتور/محمد أحمد العزب ممن فضل مصطلح الأدب المسـلم ، وذلك فى ندوة عقدت بجامعة الأزهر بكلية اللغة العربية بالمنصورة ، وبنى رأيه على أن مصطلح الأدب الإسلامى رحب وشامل ويمكن أن يدخله أى أدب آخـر يلتقى مع التصور الإسلامى ، حتى وإن كان قائله غير مسلم ، وهو مالا نستطيع أن نرده ما دام قد اتفق مع التصور الإسلامى ، وحلاً للإشكال نقـول : (الأدب المسلم) حتى يقتصر على إبداع الأدباء المسلمين . وقد رد الدكتور/عبد القدوس ، على رأى الدكتور/ العزب ، بأنه نجا من مشكلة ووقع فى أخرى ؛ حيث أن هذا المصطلح يدخل فى الأدب الإسلامى إبداع أدباء مسلمين رغم أن إبداعهم لا يتفق مع التصور الإسلامى .

والحقيقة أن رأى أستاذنا الدكتور/العزب له وجاهته ، والتى تكشف عـن عقلية نقادة متميزة ، وربما دفعه إلى هذا ما لاحظه من صنيع الأسـتاذ محمـد قطب حينما أتى بنماذج من إبداع الفيلسوف الهندى (طـاغور) كمثـال لـلأدب الإسلامى ، حيث يرى ــ قطب ــ إطلاق مصطلح الأدب الإسلامى علـى كـل أدب يتفق مع التصور الإسلامى وإن كانت عقيدة قائلـه تختلـف مـع العقيـدة الإسلامية

---

(١) مجلة الأدب الإسلامى السنة الثانية العدد ٨جمادى الآخرة سنة ١٤١٦هـ ص٤.

ولكن يمكن أن تحل هذه الإشكالية التى فطن إليها أستاذنا الدكتور/العزب بالتقييد فى تعريف الأدب الإسلامى بأن يكون صادراً عن أديب مسلم ، وأن تكون أبعاد تشكيل الوجدان الشعرى عنده إسلامية

ثم ينتقل الدكتور/عبد القدوس إلى مصطلح آخر وهو (أدب الشعوب الإسلامية) وقد نقد الدكتور هذا الرأى بعدما أشار إلى وضوح بطلانه بقوله " إنه قد يدخل آداباً حداثية ضد تيار الأدب الإسلامى وأصوله الفكرية المرتبطة بالتصور الإسلامى الصحيح "(١)

وكذلك مصطلح الأدب الدينى فهو مصطلح يطلق على أى أدب ينتمى إلى أى دين آخر كالنصرانية واليهودية .

ومن المصطلحات المطروحة كبديل لمصطلح الأدب الإسلامى مصطلح (أدب العقيدة الإسلامية) وهو مصطلح يطلق على جانب واحد من جوانب الإبداع التى يتناولها الأديب الإسلامى وهو أدب العقيدة ، فأين المجال السياسى والاجتماعى ؟! .... لاشك أن فى هذا الرأى قصور فى النظرة إلى الأدب الإسلامى .

أما مصطلح الأدب الأخلاقى فهو مصطلح لا يمنع من دخول آداب الأيدلوجيات الآخرى كالمادية والعلمانية والاشتراكية... والتى قد تشترك فى بعض الأفكار مع الأدب الإسلامى رغم مخالفتها للأدب الإسلامى .

وبعد هذه الجولة حول بعض المصطلحات التى قدمت كبديل لمصطلح الأدب الإسلامى يتضح لنا أنها جميعها لا تقوى على أن تكون بديلاً عنه ، ولئن كان مصطلح الأدب المسلم أكثر هذه المصطلحات مزاحمة لمصطلح الأدب الإسلامى فإن الدكتور نجيب الكيلانى ــ وغيره ــ أشار إلى ضرورة تقييد

---

(١) السابق ص٦

الأدب الإسلامى بالإيمان فى تعريفه فقال : (تعبير فنى جميل مؤثر نابع من ذات مؤمنة .....) وهذا قيد أخرج ما كان فى مثل إبداع طاغور وغيره من الأدباء ممن يتفق شعرهم مع الإسلام ولا يتمثلون أو يعتقدون المنهج الإسلامى فكراً وعقيدة .

وهذا المصطلح ــ الأدب الإسلامى ــ يتسم بالشمول فى دلالته حيث إنه يصدق على كل إبداعات الشعراء الذين لا ينتمون إلى اللغة العربية وفى الوقت نفسه يدينون بالدين الإسلامى ، ويتمثلون الفكر الإسلامى عقيدة وقولاً وفكراً عند معاناتهم لرؤيتهم الإبداعية ، لذا فإنه يصح أن نطلق على أدب الأديب الأفغانى والباكستانى والتركى وغير هؤلاء ممن يدينون بالإسلام يصح أن نطلق على أدبهم أدباً إسلامياً رغم اختلاف اللغة بينهم وبيننا ، ولا غرابة فى هذا فإن المذاهب الأدبية التى شاعت واشتهرت فى عالم الأدب كالكلاسيكية والرومانسية والواقعية ، ما هى إلا مذاهب أدبية ظهرت فى بيئات أدبية خاصة ، ولغات محددة ، ثم شاعت بعد ذلك فى كل الأداب واللغات فى العالم ، رغم ما عرف عنها من قصور بعد ذلك .

وعلى ذلك فإنه لا غرابة فى أن نطلق مصطلح الأدب الإسلامى على إبداع الأدباء المسلمين فى كل بلاد الإسلام رغم اختلاف اللغة ، وهذا مما يعطى المصطلح دلالة على الشمول أكثر من أى مصطلح آخر مطروح كبديل له .

محاربة الإسلام للشعر
بين المؤيدين والمعارضين

من أهم القضايا التى أثيرت عند الحديث عن أسلمة الأدب قضية محاربة الإسلام للشعر ،معتمدين فى ذلك على بعض الآيات والأحاديث كقوله تعالى[والشعراء يتبعهم الغاوون]وقوله ﷺ"لأن يمتلئ جوف الرجل قيحا خير له من أن يمتلئ شعرا"(١)وسوف نحاول الرد على هذه الشبهة

فلقد كان للشعر مكانة عالية بين الجاهلين ، ففتنوا به وسحروا ببلاغته ، وحفظه الرواة فى صدورهم ، وسجلوا فيه أيامهم وأمجادهم ، ومقامهم وترحالهم وأفراحهم وأتراحهم ، واستحق بصدق أن يقال عنه أنه ديوان العرب،فكم استخدموه فىالدعاية والتفاخر،حتىقال عمربن الخطاب لكعب الأحبار: " هل تجد للشعراء ذكراً فى التوراة ؟ قال كعب : أجد فى التوراة قوماً من ولد إسماعيل أناجيلهم فى صدورهم ، ينطقون بالحكمة ويضربون الأمثال لا نعلمهم إلا العرب"(٢).

ولكن هذا الفن الرائع قد أخذ لنفسه شكلاً جديداً فى الإسلام ، فقد تأثر بالعقيدة التى أنشأت جيلاً من الرجال الذين تغير فكرهم وفهمهم ونظرتهم للحياة ، فأصبحت هذه الرؤية العامة التى رُسمت فى عقول الأمة الإسلامية – رؤية العقيدة – تلهم الشعراء وجداناً جديداً يعبر عن ذاتهم وعن نفوس متلقيهم ، ومن هنا بدأ التحول الواضح فى معايير الشعر الذى انبهر شعراؤه بالقرآن الكريم فكراً وفناً ، حتى استنكر شاعر فحل [كلبيد] أن يقول الشعر فى جوار هذا النموذج

---

(١) سورة الشعراء (٢٢٤)والحديث فى صحيح مسلم رقم (٩٥٢٢) فى كتاب الشعر

(٢) العمدة . لابن رشيق (٢٥/١) تحقيق / محمد محيى الدين عبد الحميد – طبعة دار الجيل ببيروت- الطبعة الخامسة١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

الرائع فيقول : " قد أبدلنى الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران " [١] .

والقرآن الكريم رسم الخط القويم للشعراء حتى يسيروا عليه ، وذلك حين يقول تبارك وتعالى : ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [٢] .

" فالمستثنون من الآية هم الملتزمون إسلامياً،وقد حددت الآية صفاتهم بجلاء ووضوح فى :

١- الإيمان ٢- العمل الصالح ٣- ذكر الله كثيراً

٤- الانتصار من بعد الظلم وليس مطلق الانتصار

هذه هى صفات الشاعر الملتزم ، فإذا فقدت صفة من هذه الصفات لم يكن الشاعر ملتزماً " [٣] .

وقد وقف الأستاذ الدكتور/على على صبح ، على هذه الآية وقفة تحليلية تكشف عن موقف الإسلام المؤيد للشعر [٤]، والاستشهاد بالآية يؤكد النهج الربانى فى التعامل مع الأدب والشعر.

والرسول ﷺ يعلم مدى التأثير القولى فى الشعر ، فيتخذ لنفسه شاعراً فيقولﷺ لحسان:"اهجهم أو هاجهم وجبريل معك"[٥] وقالﷺ:"لهذا أشد عليهم من

---

(١) طبقات فحول الشعراءلابن سلام(١/١٣٥)تحقيق/محمود محمد شاكر طبعة المدنى

(٢) آخر سورة الشعراء .الآيات (٢٢٤-٢٢٧) .

(٣) الأدب الإسلامىضرورة.أحمد محمد على:ص٨٦دار الصحوةالطبعةالأولى١٩٩١م

(٤) الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق اد/على صبح٣/٢٩٤

(٥) صحيح البخارىتحقيق / طه عبد الرؤف سعد (٤/١١٤)باب الأدب مكتبة الإيمان

وقع النبل "[١] والرسول ﷺ دائماً ما كان يحث الشعراء على القريض ، فرأينا في بدر وأحد والخندق والوفود .... إلخ ، شعراً يوضح العقيدة الإسلامية،حتى إنه ﷺ يعجبه القول الطيب فيقول:في[أمية بن أبى الصلت] وقد استمع لشعره " كاد أمية بن أبى الصلت أن يسلم"[٢] كذلك موقفه ﷺ من كعب بن زهير] في قصيدته (بانت سعاد) حينما خلع ﷺ بردته عليه إعجاباً بفنه ، ومواقفه ﷺ توضح إعجابه بالشعر الإسلامى الذى يتوافق مع العقيدة " وانطلاقاً من هذا الحديث وصلت إلينا أكثر من حادثة تبين سنة الرسول ﷺ حين كان يرى خروج الشعراء على القيم والمفاهيم الإسلامية الجديدة ، أو أى عودة منهم إلى ما كانوا عليه من قيم ومفاهيم الجاهلية ، حيث كان ينكر عليهم ذلك، ويوجههم نحو الصحيح من القول، والحسن من الكلام بمقياس إسلامى جديد " [٣].

وقد ذهب الدكتور زكى مبارك إلى " أن الشعر فى زمن البعثة كان كثيراً وقوياً ، لكن الرسول ﷺ رأى أكثر الشعراء من المعارضين له فعمد إلى إخفاء أصواتهم " [٤] .

والحقيقة أن وجدان الرواة هو الذى رفض هذا الغث البذئ من القول، سواء أكان شعراً أم نثراً،وهذه هى طبيعة النفس الإنسانية دائماً.

وإذا تتبعنا الشعر الإسلامى بعد الرسولﷺوفى زمن الصحابة،نجد أن الفكرة الإسلامية هى المضمون الأدبى الذى دعا إليه الخلفاء،فقد قال عمر بن الخطاب ﷺ:"اروا من الشعر أعفه ومن الحديث أحسنه ومن النسب ما تواصلون

---

(١) الأغانى. لأبى الفرج الأصفهانى (١٤٣/٤) طبعة دار الكتب المصرية – الطبعة الثانية.

(٢) صحيح البخارى . باب الأدب. (٤ / ١١٢).

(٣) الإسلام والشعر . د/ سامى العانى : ص٤٨ طبع سلسلة عالم المعرفة–عدد يونيو سنة ١٩٨٣م .

(٤) الموازنة بين الشعراء . د / زكى مبارك : ص٢٥ مطبعة الحلبى – الطبعة الثانية سنة ١٩٣٦م . "بتصرف"

عليه وتعرفون به،فرب رحم مجهولة قد عرفت فوصلت،ومحاسن الشعر تدل على مكارم الأخلاق،وتنهى عن مساويها"[١]،وأخبار عمر ﷺ مع الشعراء من أمثال الحطيئة حينما هجا (الزبرقان بن بدر) تدل دلالة واضحة على موقفه من الشعر الفاحش ، وقصة الحطيئة فى الأغانى مفصلة [٢].

وعمر ﷺكان يخشى أن ينهج الشعراء منهجاً خطأً ، فيصل به الأمر إلى الحد الذى يقول فيه لحسان بن ثابت وقد جلس فى مسجد الرسول ﷺ ينشد الشعر:" أرغاء كرغاء البكر ؟ فقال حسان : دعنى عنك يا عمر ، فوالله إنك لتعلم لقد كنت أنشد فى هذا المسجد من هو خير منك ، فما يغير على ذلك،فقال عمر: صدقت "[٣] .

والإمام على ﷺيقول:"الشعر ميزان القول-وروى- الشعر ميزان القوم "[٤].

والأقوال التى توضح رأى الصحابة ، فى دور الشعر فى السمو بالأخلاق كثيرة ومتعددة ، وترسم لنا منهجاً دقيقاً للمعانى الإسلامية التى دعا إليها النقاد المسلمين ، والتزمها الشعراء .

ومن المواقف التى تكشف عن المنهج الإسلامى فى معالجة النقد للشعر، ما حدث من عمر بن عبد العزيز حينما وقف الشعراء ببابه حتى سأله أحد خواصه أن يستمع إليهم فسأله من بالباب ؟ فذكرهم ، فأخذ ينقدهم ويعيب عليهم تغزلهم وفحشهم، وما دخل عليه إلا جرير لأنه أخفهم فحشاً ، والرواية فى العقد الفريد كاملة [٥] .

وقد عاتب عمر بن عبد العزيز نصيباً على تشهيره بالنساء،فعاهده على ألا

---

(١) جمهرة أشعار العرب فىالجاهلية والإسلام . لأبى زيد لقرشى : ص٤١.

(٢) الأغانى (١٨٦/٢) .

(٣) العمدة لابن رشيق (٢٨/١) .

(٤) العمدة لابن رشيق (٢٨/١) .

(٥) العقد الفريد . لابن عبد ربه (٩١/٢) تحقيق/أحمد أمين .أحمد الزين . إبراهيم الإبيارى . طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة . سنة٢٠٠٤م.

يفعل فأكرمه[١]

لا شك أن هذه المواقف تثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن للأدب الإسلامى جذوراً تاريخية ، تتمثل فيما أنتجه كبار الشعراء ، حينما اصطبغوا بالصبغة الإسلامية ، وقد يعترض على ذلك بأن هذه المعانى كانت تدور على ألسنة الجاهلين مصاحبة لشعرهم الفاحش ، ويرد على هذا بأنه شعر توافق مع الفطرة الإنسانية ، كما أنه لم ينبع من نفس تؤمن بالإسلام ومقوماته وتصوره للحياة ، فهو شعر لا يقوم على عقيدة سوية .

وقد أخذ الشعر فى العصور المتلاحقة شكلاً جديداً خاصةً مع شاعر فحل من شعراء العصر العباسى وهو " أبو العتاهية " وقد ذهب " جولد تسهير " إلى أن أبا العتاهية متأثر بالعقيدة البوذية والمسيحية [٢] ،وهذه إحدى محاولات التبشير التى تهدم الكيان الإسلامى،فأبو العتاهية يمثل بشعره خطاً واضحاً للإسلام فكراً وفناً ، وملامح التصور الإسلامى واضحة فى أشعاره ، علاوة على المضمون،فهل ترك هذا النبع الإسلامى ليذهب إلى البوذية أو غيرها ؟!

ويمكن الرد على من استدل بالحديث النبوى الشريف(لأن يمتلئ ...)بأن المقصود بهذا الشعر شعر الهجاء فى الرسولﷺ فقد قالت السيدة عائشة أن الشعر الوارد فى هذا الحديث إنما هو الشعر الذى هجى به الرسول عليه الصلاة والسلام لا الشعر كله"[٣]

وعلى ذلك فإن الإسلام لم يحارب الشعر ولم يهاجم الشعراء وإنما هاجم الكلمة الخبيثة ، أيا كان نوعها شعرا أو غير شعر ، وما سبق من مقولات يكفى لدحض هذه الشبهة.

---

(١) الأغانى (٣٥٨/١) .

(٢) مجلة الدارة عدد (٤) السنة التاسعة عشرة سنة ١٤١٤ هـ : ص١٠٣ .

(٣) الروض الأنف ٥/٧٣

محدودية الأدب الإسلامى
بين مؤيديه ومعارضيه

من الشبهات التى وجهت إلى الأدب الإسلامى اتهامه بأنه أدب يحدد نشاط الأديب ويقيد حركة الإبداع فى نفسه ، وهذه الشبهة نابعة من فهم البعض بأن الأدب الإسلامى يدور فى المعانى والموضوعات الدينية فحسب كالمديح النبوى وأشعار الزهد والحكمة،وقد تناولت بعض الدراسات هذا الجانب عند بعض الشعراء ظناً منهم أنها وحدها الأدب الإسلامى[١] وسوف نحاول الرد على هذه الشبهة بما يكشف عن شمولية الأدب الإسلامى النابعة من شمولية الإسلام .

الإسلام دين شمولى ، هذه حقيقة لا يستطيع أن ينكرها أى قارئ للدين الإسلامى ، وقد عبر عن ذلك رب العزة – تبارك وتعالى – فقال عن الرسالة الإسلامية ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [٢] . والأدب الإسلامى بصفته أحد نشاطات الحياة التى يقودها الإسلام ، أصاب من شموليته أجزاءً متعددة ، فالأديب الإسلامى حينما يقف أمام الحياة ، وينظر إليها بالتصور الإسلامى ، الذى ينتهجه ويسير على تصوره ، يدرك إلى أى مدى كانت هذه الشمولية ، واسعة فى النظر للكون وللإنسان.

فالأدب الإسلامى ، أدب للكون بكل مخلوقاته ، ما علم منها وما لا يعلم ، فما من آية من آيات الله ، إلا أباح فيها الدين التأمل ، والوقوف على قدرة الخالق فى إبداعها والنظر فى أجزائها فكل شئ فى السماء والأرض يصح أن يكون

---

(١) كثير من البحوث تناولت هذه الموضوعات عند بعض الشعراء باعتبارها الشعر الدينى بل إن هناك دراسات تكشف عناوينها عن هذا المعنى مثل"دراسات فى أدب الدعوة الإسلامية "د/محمد حسن زينى(السعودية)و"من أدب الدعوة الإسلامية"د/عباس الجرارى(المغرب)وأدب الدعوة الإسلامية"د/مصطفى يونس (مصر) .....وغير ذلك

(٢) سورة يس : الآية (١٢) .

موضوعاً للأديب ، يعبر عنه بتصوره الإسلامى ، ولم يقف الدين أمام الإباحة فحسب ، بل حث على النظر والتأمل وإدراك حقائق الكون والأشياء ، سواء أكان إنساناً ،أم حيواناً، أم نباتاً ، أم جماداً ، الكل بابه مفتوح ليبدع فيه الأديب كيفما شاء ﴿ أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ (١) .

أما شمولية النظر للإنسان ، فهى سمة عرف بها الإسلام ، كما عرف بها الأدب الإسلامى ، فالإسلام لم يقف أمام حالة واحدة من حالات الإنسان ، فلم يقدس عقله وينقم على قلبه ، ولم يهتم بحواسه ويهمل مشاعره ووجدانه ، الكل فى ميزان الأديب يستحق التأمل والنظر والمعالجة " والالتزام فى الأدب الإسلامى لا يصادر أشواق الروح وتطلعاتها ، وضرورات الجسد وما ينجم عنها من صراع داخل النفس ، فالإنسان قبضة من طين الأرض ، ونفخة من روح الله كما هو معروف ، ومن الطبيعى أن يؤدى هذا التركيب إلى لون من ألوان الصراع الذى يكابده الإنسان فى حياته ، بين الضرورات القاهرة والأشواق العليا" (٢)

وكذلك الأدب الإسلامى لا ينظر إلى مرحلة من مراحل الحياة متجاهلاً باقى حقب عمر الإنسان ، فلم يكن أدباً شبابياً يهتم بمشكلات الشباب المتنوعة على حساب الأطفال ، وكذلك لم يهتم بأدب الأطفال على حساب ما يعانيه الشيوخ والكهول من أحاسيس ومشاعر ومشكلات ، الكل فى ميزان الأدب واحد ، والكل يدور فى بوتقة الأدب الإسلامى ، ولكل مرحلة شعور خاص فى نفس الأديب ، يعبر عن هذا الشعور حسب تصوره الإسلامى ، فنرى فى أدب الشباب الحماس والنخوة والانطلاق والحيوية والتطلع والآمال، ونرى فى أدب الطفل الفضائل والأخلاق والتنشئة الإسلامية القويمة ، ونرى فى أدب الشيوخ الاتزان والتعقل والحنكة ، وملامح التجارب السابقة فى الحياة ، ونراه كثيراً ما يعبر عن

---

(١) سورة الغاشية : الآيات (١٧-٢٠) .

(٢) مجلة الأدب الإسلامى . عدد ٢ السنة الأولى : ص١٣ .

تصوره تجاه صراع الأجيال المتلاحقة .

وكذلك فهو أدب المرأة فهو يعالج قضاياها ومشكلاتها وما تعانيه من أزمات،سواء أكانت المرأة هى المبدعة ، أو أن الإبداع يدور مضمونه حول قضاياها،ولعل القضايا الاجتماعية للمرأة كانت من أظهر المناقشات الفكرية الاجتماعية فى أدب القرن العشرين نظراً لدعوات التحلل والتبرج التى دعا إليها قاسم أمين فى كتابيه (تحرير المرأة والمرأة الجديدة) وما تلاه من دعوات ، وقد عالج الأدب الإسلامى هذه المشكلات بتصور إسلامى قويم .

كما أنه أدب الدنيا والآخرة ، فقد ربط العلاقة بين الإنسان والآخرة برباط وثيق ، ونراه دائماً ما يذكر الإنسان بأن الحياة معبر إلى الدار الآخرة ، وتعبير الأديب الإسلامى عن علاقة الإنسان بالآخرة كان مثالاً للاتزان والشمول والرؤية الصحيحة القائمة على الإيمان بالله تعالى ، وهو كذلك لا يهمل المتلقى ، فليس أدباً عقيماً يزعم – الأديب – أنه أنشأه لنفسه ولا يعنيه الجمهور،كما يزعم أصحاب مذهب الفن للفن

وقيمة التعبير فى الأدب الإسلامى تتمثل فى أنه وسيلة لإبراز التصور الإسلامى " ولا قيمة لهذا التعبير إذا لم يكن ثمة إنسان يتلقاه ، ويتمثل معاناة مبدعه،ويتمثل مقاصده،ويجد فيه ذاته،أو يتعرف من خلاله على ما يجهل من أسرار الحياة الكونية ، ودقائق الخلجات النفسية "(١)

وكذلك الأدب الإسلامى لا يهتم بطبقة معينة ، مغضياً الطرف عن باقى طبقات المجتمع وما تعانيه ، كما نرى فى الأدب الكلاسيكى ، الذى يهتم بطبقة السادة والأمراء ، متنكراً لشعور ومشكلات الطبقات الدنيا ، فهو أدب الفقراء والأغنياء ، والحكام والعبيد ، يعبر عن مشكلات الأمة ومشاعرها " إنه يُحب – وخاصة فى الفنون التى تعرض بطبيعتها رقعة واسعة من الحياة كالقصة

---

(١) مدخل إسلامى لدراسة الأدب العربى المعاصر.أ.د / إبراهيم عوضين:ص ٢٨.

والمسرحية – أن تعرض الصورة كاملة بمادياتها ، ومعنوياتها وقيمتها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية والروحية،مترابطة متداخلة ممتزجة ، كما هى فى حقيقة الواقع " [١] .

وكذلك فهو يشمل كل زمان ومكان ، فلا يقف عند أمة بعينها ، ولا عند أهل زمان بعينه ، ولا لغة واحدة ، إنه أدب يمتد ويتسع ليشمل كل ما يتصل بالإنسان فى كل العصور وكل الأمكنة ، وما ذلك إلا لأنه ينبع من الإسلام ويدور فى محوره ، وبذلك يصبح منهجاً أدبياً متكاملاً عبر عنه أحد الدارسين فقال " إن المنهج المتكامل لا يعد النتاج الفنى إفرازاً للبيئة العامة ، ولا يحتم عليه كذلك أن يحصر نفسه فى مطالب جيل من الناس محدود ، فالفرد فى عصر من العصور قد يعبر عن أشواق إنسانية للجنس البشرى ، ولمشكلات هذا الجنس الخالدة التى لا تتعلق بوضع اجتماعى قائم أو مطلوب ، إنما تتعلق بمواقف الإنسانية كلها من هذا الكون ومشكلاته الخالدة " [٢].

ولذلك فهو أدب يعبر عن كل الموضوعات لا عن نوعية خاصة ، فكل الأفكار مسموح للأديب الحديث فيها،مادام قد عالجها من خلال التصور الإسلامى الذى يقوم على التوازن والتعقل لا على النزوات والشذوذ ،وعن أشواق النفس الإنسانية ويتحدث فى الغزل ، وربما عالج قضية كالعلاقة الزوجية ، ولكن فى صورة من الاتزان الإسلامى.

كما أنه أدب يراعى القيم الفنية الجمالية فى العمل الأدبى ،ويقف أمامها موقف الاستواء والاتزان،فيهتم بالموسيقى،والغرض،والشعور والمعنى واللفظ الموحى الجميل والصورة المتناغمة مع المعنى .

لذا فإن الأدب الإسلامى فاق كل المذاهب الأدبية الأخرى ،بهذا الشمول

---

(١) منهج الفن الإسلامى .أ / محمد قطب : ص ١٢٨.

(٢) النقد الأدبى أصوله ومناهجه . أ / سيد قطب : ص ٢٢٤ .

الرائع " فهو أدب مرن بحيث يتسع لكل المذاهب ، ويزيد عليها فى سعة نظرتة الكونية وعمومها وشمولها " (١).

وهذا الشمول فى الأدب الإسلامى ، له مثيل ـ من قبل ـ فى بحوث وكتب السابقين " فلم يكن غريباً أن ينهج النقاد العرب فى نقدهم نهجاً شمولياً ، يدفعهم إلى النظرة الشاملة إلى العمل الأدبى فلا يقبلون جنساً أدبياً دون جنس ، كما يصنع الأفلاطونيون والأرسطيون ، ولا يهتمون بإبراز دور العواطف فى تقويم الأدب ،على دور العقل كما يصنع الرومانسيون ، ولا يحرصون على إظهار دور المبدع وتجاهل دور المتلقى ،ومكانه من العمل الأدبى ،ولايغفلون بيئة هذا وذاك ، ولا يشغلهم إحكام العبارة عن مضمونها ، كما لا يشغلهم المضمون المعجمى عن الإيحاءات المنبثقة عن الرمز بالألفاظ إلى مواقف وأحداث وأشخاص تراثية أو غير تراثية ،ولا يفتنهم جدة المعنى عن عمقه وتأثيراته ، ولا يشغلهم بريق الصورة المادية ولألاؤها عن تلاؤمها فى الموقف وتناسقها ، إلى غير ذلك من التوجهات الجزئية التى فعلت فعلها فى توليد المذاهب والمدارس الفنية فى أوربا " (٢)

وكذلك فإن شمولية الأدب الإسلامى " تمتد لتشمل أدب اللغات غير العربية من الدول الإسلامية،فهو يشتمل على الأدب العربى للأمة الإسلامية العربية وعلى الأدب غير العربى للأمم الأسلامية الأخرى فالأدب الإسلامى الذى يصور القيم الخلقية فى الدول الإسلامية غير العربية يعد أدبا إسلاميا مثل أدب المسلمين فى تركيا لمجيب المصرى ، وفى الهند للشاعر العالمى محمد إقبال ....." (٣)

وبعد فهذا هو المذهب الإسلامى فى تكامله وشموله الفنى والفكرى الذى يرقى عن مستوى المحدودية .

---

(١) بحوث ندوة الأدب الإسلامى بالرياض سنة ١٤٠٥هـ : ص ٤٣.

(٢) فى النقد الأدبى الإسلامى ا.د / إبراهيم عوضين : ص٥٣ مطابع الشناوى بطنطا.

(٣) الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق ا.د/ على على صبح ٢٩١/٣

الالتزام الخلقى وعلاقة الدين بالأدب

بين المؤيدين والمعارضين

من الشبهات التى وجهت إلى الأدب الإسلامى أنه يربط الدين والأدب فى الوقت الذى تحتم فيه الضرورة الفنية الفصل بينهما حتى يحلق الأديب كما يشاء فى عالم الإبداع بعيداً عن أى قيود ملزمة له ، وقد كانت معظم حججهم نابعة من أن الأدب الغربى أصابه الضعف حينما ارتبط بالكنيسة ، كما استندوا إلى بعض مقولات النقاد العرب بأنه لا علاقة بين الدين والأدب،وسنحاول الردعلى هذه الشبهة فى هذه السطور.

لعل الوسائل الاستشراقية ــ والتى سعت إلى إقناع النقاد والأدباء بأن الأدب ينفصل عن الدين والأخلاق ــ كانت سبباً مباشراً ترسيخ الفكرة التى تدعو إلى فصل الأدب عن الدين فى ذهن الكثيرين

وقضية الالتزام الخلقى دار حولها نقاش شديد ، حتى فهم البعض أنه أمر غير ممكن تطبيقه وارتباطه بالأدب ، وقد فهم البعض الآخر أن المقصود بالالتزام (الالتزام الشيوعى[1]) رغم الفجوة الواسعة بين الفكرتين ، ويحذر الدكتور/نجيب الكيلانى. من هذا الفهم الخاطئ . فيقول: " ولا يصح أن ننخدع بالتزام الوجوديين وغيرهم،فـ[سارتر]يقرر أن حريته تبدأ عندما يموت الإله[والعياذ بالله]لأن فلسفته تقوم أساساً على رفض الأديان والقيم والأعراف السابقة،أى أن التزامه يبدأ بعدم الإلتزام بأى قيم سابقة،وبالطبع فقد أصبح كل وجودى[وليس سارتروحده]صاحب قيم جديدة يصنعها لنفسه وبنفسه،وهكذا أصبح التفتت شعاراً " [2] .

---

(١) دراسات أدبية . د/ أحمد هيكل ص ٩- دار المعارف - الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

(٢) مدخل إلىالأدب الإسلامىد/نجيب الكيلانىص٣٢كتاب الأمةالطبعةالأولى١٤٠٧

والالتزام فى الفكرة الشيوعية يقوم على تسخير الطاقات الإبداعية لخدمة هذا المذهب أما فى الأدب الإسلامى فإنه"لا يصادر أشواق الروح وتطلعاتها وضرورات الجسد وما ينجم عنها من صراع داخل النفس"(١).

والحرية فى الأدب الإسلامى"لا تعنى الإباحة والفوضي والتحلل،بل هى فى صميمها أمانة صعبة،ومسئولية باهظة،وقيود صارمة وأخطر ما تتعرض له الحرية-فى أى مجال لها-هو الجهل بتبعاتها ومسئوليتها،واختلاط مفهومها بشوائب ضالة من الفوضى والتحلل والإفلات " (٢) .

ومن هنا " جاز أن تُصادر حرية الأديب إذا انحرف أو ضل ، وإذا جاوز بها النطاق الذى يلزمه كونه إنساناً يعيش فى مجتمع ، وهذه المصادرة ..... لا تعنى بحال من الأحوال إهدار الحرية الفردية ، وإنما تعنى احترام مدنيته التى لا تظهر إلا فى نطاق حياته مع الجماعة " (٣).

والحقيقة أن الدعوة إلى الأخلاق والالتزام لم تكن وليدة الأدب العربى فحسب ، فهذا (السير فيليب سدنى) أحد نقاد عصر النهضة فى انجلترا ، يدعو إلى ضرورة أن يكون الأدب هادفاً وذلك فى كتابه: (اعتذار عن الشعر) أو(دفاع عن الشعر) فقد " كان للتفسير الأخلاقى لوظيفة الفن ، الذى أرسى قواعده كتاب[سدنى]، تأثير عظيم على فترة الكلاسيكية الجديدة ، حيث أصبحت الفكرة التى دعا إليها[سدنى] من أهم معالم الكلاسيكية الجديدة ، وحيث أصبح مقرراً أن الشعر الذى لا فائدة منه ، أو لا هدف له ، شعر لا قيمة ..... والحق أن أثر النظرية الأخلاقية فى الشعر لم ينقطع فى أى عصر من العصور التالية لسدنى ؛ فقد ظهر أثرها فى بعض الحركات التى كانت تقف على النقيض من فكر عصر

---

(١) مجلة الأدب الإسلامى . مجلد ١ عدد ٢ سنة ١٩٩٤م : ص١٣ .

(٢) قيم جديدة للأدب العربى القديم والمعاصر . د/ عائشة عبد الرحمن : ص٤٢ - طبعة دار المعارف - الطبعة الثانية .

(٣) السابق : ص٧٩ .

النهضة،وفكر الكلاسيكية الجديدة كالحركة الرومانتيكية ، وبخاصة في كتاب(شيللى)(دفاع عن الشعر)ولكن أثرها العميق الذى يتحتم الوقوف عنده قليلاً،ظهر عند ناقد العصر الفيكتورى(ماثيوأرنولد ١٨٢٢ــ١٨٨٨) الذى ربط الشعر بالأخلاق ربطاً وثيقاً أحله فيه محل الدين نفسه " (١).

وبهذا يتضح لنا إلى أى مدى لاقت فكرة الالتزام الخلقى تأييداً في كل العصور والآداب .

أما عن ضعف الأدب فى ظلال الكنيسة الأوروبية فهذا راجع لإلزامها الأدباء منهجا محدداً حتى اختنقت روح الإبداع فى نفوسهم وهذا أمر لا نراه فى ظلال شمولية الإسلام التى اتضحت من قبل .

أما عن علاقة الدين بالأدب فى النقد العربى فجل النقاد القدامى فضلوا الالتزام ، ومنهم " ابن قتيبة " فى " الشعر والشعراء" (٢) . " والباقلانى " في " إعجاز القرآن " حيث ينقد فحش امرئ القيس (٣) ، " والثعالبى" فى " يتيمة الدهر " حيث يقول : " ولكن للإسلام حقه من الإجلال الذى لا يصوغ الإخلال به قولاً وفعلاً ونظماً ونثراً " (٤) ، ومنهم "الأصمعى"حيث يقول:" ما أجد أحداً أحب إلىّ شعراً من لبيد بن ربيعة لذكره الله عز وجل ولذكره الدين والخير " (٥) .

---

(١) فى نقد الشعر د / محمود الربيعى ص ٤٩ ــ ٥٠ طبعة دار المعارف سنة ١٩٦٨م . وقد تحدث بإفاضة بالغة عن الشعر الهادف عند الأوربيين

(٢) الشعر والشعراء . لابن قتيبة : ص٢١ ، تحقيق / مفيد قميحة – دار الكتب العلمية ببيروت- الطبعة الثانية سنة ١٩٨٥م .

(٣) إعجاز القرآن . للباقلانى : ص٢٠١ ، شرح وتعليق د/ محمد عبدالمنعم خفاجى – طبعة دار الجيل بيروت –الطبعة الأولى سنة ١٩٩١م .

(٤) يتيمة الدهر للثعالبى : (١/ ٢١٠) تحقيق / مفيد قميحة – طبعة دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة الثانية سنة ١٩٨٣م .

(٥) الموشح للمرزبانى:ص٨٩،تحقيق/على محمد البجاوى – طبعة دار الفكر العربى.

ومنهم " ابن شرف القيروانى " فى " رسائل الانتقاد " حيث يعلق على أبيات فى الغزل " لامرئ القيس " فيقول:"فما كان أغناه عن الإقرار بهذا،وما أشك غفلته عما أدركه من الوصمة به،وذلك أن فيه أعداداً كثيرة من النقص والبخس"(١)ومنهم"عمرو بن عبيد"وقد قيل له"ماالبلاغة؟قال:ما بلغ بك الجنة،وعدل بك عن النار"(٢)،وغير ذلك من النقاد .

ومن النقاد من يوهم لفظه خلاف ذلك منهم " القاضى الجرجانى " فى " الوساطة " حيث يقول : " فلو كانت الديانة عاراً على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر ، لوجب أن يمحى اسم أبى نواس من الدواوين ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهلية ، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر،ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعاب من أصحابه بكماً وخرساً ، وبكاء مفحمين ، ولكن الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر " (٣) ، والصولى يقول : "ما ظننت أن كفراً ينقص من شعر وأن إيماناً يزيد فيه " (٤)، وكذلك" قدامة بن جعفر" فى نقد الشعر حيث يقول : " المعانى كلها معروضة للشاعر يتكلم منها فيما أحب ، دون أن يحظر عليه معنى " (٥) .

ومقولة " قدامة بن جعفر " لا خلاف حولها ، حيث أنه من حق الأديب أن

---

(١) رسائل الانتقاد . لابن شرف القيروانى : ص٤٢ ، تحقيق / حسن حسنى عبد الوهاب – طبعة دار الكتاب الجديد بيروت .

(٢) البيان والتبيين . للجاحظ (١١٤/١) تحقيق / عبد السلام هارون – مطبعة الخانجى بالقاهرة – الطبعة الخامسة سنة١٩٨٥م.

(٣) الوساطة بين المتنبى وخصومه . القاضى الجرجانى ص٥٨ تحقيق هاشم الشاذلى – دار إحياء الكتب العلمية

(٤) أخبار أبى تمام للصولى ص٧٧– نشر خليل محمد عساكر وآخرين ، ١٩٣٧م .

(٥) نقد الشعرلقدامة بن جعفر ص١٩ تحقيق/ كمال مصطفى–الخانجى الطبعة الثالثة.

يكتب فى أى فكرة طالما أنه يسير وفق التصور الإسلامى .

" والصولى يدافع عن أبى تمام لأن شعره – كما قال – كله يشهد بضد ما اتهموه به من الكفر أى أن شعره إسلامى ، وهذا أمر يدركه قارئ شعره بسهولة ، ولو كان الأمر على خلاف ذلك ، لكان للصولى موقف آخر من أبـــى تمـــام ، لأنه أكد بصريح العبارة أنه لا ينبغى لجاد ولا مازح أن يلفظ بلسانه ، ولا يعتقد بقلبه ما يغضب الله عز وجل .... وبما أن أبا تمام لم يظهر فى شعره ما يـــدل على الكفر أو الجحود بربوبية الخالق ، بل يدل على عكس ذلك ، فإن ما يدعيه الناس من أنه كافر لا يزيد بالطبع من جودة شعره ولا ينقص فيها " (١).

فالدين له علاقة وثيقة بالأدب ، ولئن كان هذا الفصل " صحيحاً من الناحية الفنية فإنه غير مقبول من الوجهة العقيدية التى تحتم الالتزام بـــالقيم الرفيعـــة ، والأخذ بأسباب تقدم الإنسان لاتصوير نوازعه وشهواته ، وعزله عـــن الحيـــاة العامة وعن مجتمعه ، وكان على الأدب العربى أن يلتزم بـــذلك ليقـــدم للعـــالم صورة مشرقة بناءة " (٢)

ولئن كان بعض النقاد رفض الالتزام فى الشعر ، فهناك كثير وكثير أيـــد هذه الوجهة ودافع عنها ، وهذا يدل على أن الدين لم يكن ليكبت الإبـــداع أو أن يكبت جذوة الفن فى نفس الأديب ، ولم يقل أحد بأن الانفلات سببا لجودة الفن ، والإسلام لم يكن ليحرم الأديب من الحديث عن أى فكرة ولكنه يوجهه التوجـــه الإسلامى الصحيح فالعلاقة بين الدين والأدب علاقة وطيدة .

---

(١) مجلة الدارة .عدد ٤ السنة التاسعة عشرة سنة ١٤١٤ هـــ : ص١١٧ .

(٢) نحو أدب إسلامى معاصر أسامة يوسف شهاب ص ١١ دار البشير عمان الطبعة الأولى ١٤٠٥هـــ ١٩٨٥م .

علاقة الأدب الإسلامى بالأدب العربى
بين المؤيدين والمعارضين

يرى بعض خصوم الأدب الإسلامى عدم الحاجة إلىهذا المصطلح لأمور:

١ــ أن إطلاقه يؤدى إلى الحيرة فى التراث العربى(الجاهلى والأموى...)

٢ــ أن أجدادنا القدماء لم يستخدموا هذا المصطلح.

٣ــ أن ربط الأدب بالدين أمر لم تعرفه الساحة الأدبية من قبل ، فالأدب ينسب إلى اللغة وقومية أبنائه ، ونسبته إلى الدين أمر غير معهود ، فضلاً عن أن هذا يفتح الباب أمام ألوان أخرى كالأدب المسيحى ، والبوذى ، واليهودى ..... إلخ .

وقد رد الدكتور عبد الباسط بدر على هذه المزاعم فقال : " إن العلاقة بين الأدب الإسلامى والعربى ، علاقة الرحم والقرابة ، فالأدب الإسلامى مصطلح يطلق على الأعمال الأدبية المنشأة باللغة العربية ، أياً كان مضمونها واتجاهاتها وعصورها ، والأدب الإسلامى يطلق على الأعمال الأدبية التى تعالج قضية إسلامية صافية ، سواء أكانت مكتوبة باللغة العربية أم بغيرها من اللغات .... أما أن أجدادنا لم يستخدموا اصطلاح الأدب الإسلامى فهذه حقيقة لا تضر الأدب الإسلامى فى شئ لسببين رئيسيين : ***الأول***:أنه من النادر أن نجد أديباً أو ناقداً عربياً قديماً تجاوز الأدب العربى إلى أدب الشعوب الإسلامية الأخرى،أو حاول تتبع جوانب التأثير والتأثر بينهما،و***الثانى***:أن عدم وجود مصطلح الأدب الإسلامى عند أجدادنا لا يدينهم ولا يديننا فى شئ ، فثمة مطبوعات كثيرة لم يعرفها أجدادنا ، ومع ذلك فنحن نستخدمها اليوم فى الأدب والنقد .... ولأن الأدب الذى يهتم بقضايا الإسلام والمسلمين لم يكن غريباً عنهم ولا يدهشهم،ولا يزاحمه أدب آخر يدعو إلى عقيدة مخالفة،أو يحاول سلخ المجتمع من عقيدته الإسلامية على نحو ما حدث فى عصرنا ، ... وإذا كان التاريخ الأدبى لم يعرف

مصطلح الأدب النصرانى،فإنه عرف مصطلحات مرادفة لها مثل الأدب الميتافيزيقى والشعر الدينى والمسرح الدينى " [١].

وبذلك يتضح أنه لا خلاف بين الأدب العربى والأدب الإسلامىفهما جزء واحد، فلم يختلف الأدب الإسلامى مع الأدب العربى فى أى قيمة فنية جمالية طالما أنها مقبولة فى الذوق والوجدان العربى،أما عن الأغراض الشعرية فـ"الأدب الإسلامى لم يتعارض مع الأدب العربى منذ عصر صدر الإسلام إلى اليوم وفى المستقبل ، ماعدا الأغراض التى تعارضت مع قيمه الخلقية والفنية،مثل الغزل الفاحش الماجن المكشوف، والهجاء القبيح المذموم ، ووصف الخمر والترغيب فيه ، والغزل بالمذكر الشاذ الذى يتنافى مع الفطرة المستقيمة ، وأدب الزندقة،وأدب الشعوبية فى العصور الأدبية القديمة ، والأدب الوجودى والماركسى والإلحادى وما أشبه ذلك فى العصر الحديث "[٢] وما عدا هذه الموضوعات فإن الأدب العربى بأكمله يعد أدباً إسلامياً فأين الخلاف إذن ؟....

---

(١) بحوث ندوة الأدب الإسلامى بالرياض سنة ١٤٠٥ هـ : ص ٩٧ .

(٢) الأدب الإسلامى بين النظرية والتطبيق أ.د/ على على صبح ٢٩١/٣

الخصائص الفنية للأدب الإسلامى
بين مؤيديه ومعارضيه

اتهم الأدب الإسلامى ــ أو الأدب الذى يدعو إلى قيم فكرية هادفة ــ بأنه أدباً يخلو من صور الفن ومعالم الجمال ، وأن الأدباء الذين يكتبون هذا الأدب لا يعنون إلا بالفكرة وتوضيح أجزائها وأهدافها ، ولا يهمهم أن تكون هذه الفكرة فى كلمة رديئة أو مبتذلة أو حتى ساذجة ، أو فى صورة تافهة خاوية لا تنبئ إلا عن تقليد أو احتذاء لصور من سبقوه أو اجترار لصور قديمة .

والحقيقة أن هذا عيب لا يمكن تجاهله ،خاصة و أنه أول ما يجنى على الفن ،ويئده فى قبره لحظة الميلاد ،ولا يطلع عليه إلا من أراد أن يتعرف على فكرة ما لا من يطالع ملامح الفن والجمال ، وهذا ــ لا شك ــ يؤدى إلى ضياع معنى الأدب ، والأولى بمثل هذا الشعر الذى يخلو من الجمال ،أن ينثر أو يلقى فى خطبة لا يتطلب فيها ما يتطلبه الشعر من جماليات ، ولا يعيبه أن يكون نثراً وإنما يشينه أن يكون نظماً يخلو من الجمال ، أو أن يكون جسداً بلا روح .

وهذه الشبهة ــ شبهة الوعظية ــ تلتصق بالأديب أكثر من التصاقها بالأدب ، والدليل على هذا أن من الشعراء من يتناول موضوعاً ذاتياً بعيداً كل البعد عن الموضوعات التى يمكن أن توسم بالتقريرية كالموضوعات ذات الأهداف الاجتماعية مثلاً ، ثم تأتى فكرته تافهة ولا يعالجها معالجة فنية تستحق التقدير .

ولعل من أهم الأسباب التى أدت إلى أن يتسم الأدب الإسلامى بالسطحية والمباشرة والتقريرية ؛ ظهور بعض النماذج الضعيفة فنياً والتى لم يهتم فيها أصحابها بقيم الفن قدر اهتمامهم بالفكرة ، فضلاً عن ضيق الأفق فى فهم معنى ومفهوم ومقاصد الأدب الإسلامى فلقد " كان أكثر الشعر الدينى فى العصور

السابقة نزعة خاصة يتحدث فيها الشاعر عن عواطفه وإحساسه ، ويصور فناءه فى الخالق ، ويهتف شوقه إلى الرسولﷺ فهو أدب شخصى يعبر عن أشواق النفس وأحزانها ومواجدها ، ولا يتعدى تلك الدائرة ، أما الشعر الدينى عند محرم[باعتباره واحداً ممن عنوا بالمضمون الإسلامى فى شعرهم] فقد اتخذ موقفاً إيجابياً من الأحداث ، وشارك فى علاج أمراض المجتمع ، ووضع يده على مواطن الداء فيه ، وهتف بالأمة الإسلامية أن تلتمس الشفاء فى هديه ، وتغرف النور من فيضه ، علها تمضى مع قافلة النور إلى ما تصبو إليه من خير ، ومن ناحية أخرى هب مدافعاً عن الإسلام زائداً عنه أكاذيب المغرضين راداً كيدهم فى نحورهم ، مبرءاً له مما رموه به زوراً وبهتاناً ، ناشراً على الناس أمجاده مشيداً بعظمته وخلود مبادئه ، وهذا إلى جانب خواطره الكثيرة ، التى تغنى فيها بعظمة الخالق، وقدرته والتى تشبه إلى حد بعيد النزعة الصوفية لشعراء العرب السابقين " (١).

هذا هو التصور الصائب للأدب الإسلامى ، وليس مجرد اقتصار على أفكار ورؤى تتصل بالإسلام بصورة شكلية ظاهرة ، وإنما هو بحث فى الأغوار ، وكشف عن عميق المعانى ، وجليل الخصائص والسمات التى يتمتع بها الإسلام ويتمتع بها الأدب .

وهذه الرؤية الجديدة للأدب الإسلامى ليست قائمة على علاقة فكرية تتعلق بالمضمون فحسب ، وإنما هى علاقة فنية أيضاً ، وقد أشار الدكتور/ زكى مبارك إلى ضرورة الارتقاء الفنى للنص الأدبى الذى يحوى مضموناً إسلامياً فقال : " إن الشعر قد يساير الأغراض الدينية ، وتبقى له حين تغلب فيه تلك النزعة قيمته الفنية،وعندى لهذا شاهد بديع ، وهو قول بعض الحجازيين فى ذم

---

(١) شاعر العروبة والإسلام أحمد محرم . أ.د/ محمد إبراهيم الجيوشى : ص ١٢١ ،١٢٢ - مطبعة السعادة- الطبعة الأولى سنة ١٩٦١.

جمـــاعة من عبيد الراح :

لو كنت أحمل خمراً يوم زرتكمو لم ينكر الكلب أنى صاحب الدار
لكن أتيت وريح المسك يفعمنى وعنبر الهند أذكيه على النـــار
فأنكر الكلب ريحى حين أبصرنى وكان يعرف ريح الزّقّ والقـــار

فهذا نهى عن الخمر،ولكنك لاتستطيع أن تضع فيصفه قول ابن الوردى:

دع الخمرة إن كنت فتى كيف يسعى فى جنون من عقل ؟

لأن هذا ينقصه ما يبنى عليه الشعر من رائع الخيال "[1] .

فالإسلام بخصائصه وسماته وقيمه الفكرية التى أنزلها الله تعالى ، مضمون فكرى قويم ، يصلح صلاحية مطلقة دون قيد أو شرط للإبداع الأدبـــى ، والأدب باعتباره نشاطاً وجدانياً يخاطب فى الإنسان أحاسيسه ومشـــاعره وعقله،صـــالح كذلك لأن يحوى الفكر الإسلام بأكمله كمضمون.

وعلى ذلك فإن حاجة الأديب إلى المضمون الإسلامى فى معالجة قضـــايا الأمة أمر ضرورى أدى إلى هذه الضرورة انتمائه إلى الإسلام كعقيدة ، كما أن حاجته إلى قيم الأدب الفنية الجمالية عند معالجة رؤيته الإسلامية ضرورة مُلحة أيضاً ، حتى يحقق معنى السمو الفنى .

ولعل من أهم القيم الفنية التى دار حولها نقاش فى الأدب الإســـلامى لغـــة الأدب بين التقريرية (فى الأدب الإسلامى)والغموض(عند الحـــداثيين)،وكـــذلك افتقار الصورة فى الأدب الإسلامى إلى الخيال فى مقابلة الخيال المجـــنح عنـــد الأوروبيين والحداثيين،وكذلك موقف الأدب الإسلامى من الإيقاع، وسوف نتناول هذه النقاط فى الصفحات التالية .

---

(١) الموازنة بين الشعراء – د/ زكى مبارك ص ٩ .

١ــ لغة الأدب بين التقريرية والغموض :

طغى طوفان الغموض والإبهام فى لغة الشعر،وأصبحت بعض الأشعار طلاسم تستغلق معانيها على القارئ،وربما كانت الألفاظ مفهومةولكنها حينما تركب تكون غامضة مبهمة لايتبين قارئها مقصودها.

وربما كان السبب فى ظهور هذه النزعة الرمزية فى لغة الشعر نابعة من إحساس الشاعر أو الأديب بعجزه عن إخراج شحناته الشعورية ورسمه لتفاصيل تجربته من خلال الألفاظ،فالألفاظ مهما كانت دقيقة إلا أنها لا ترسم المشاعر والأحاسيس بالصورة التى ترضى الأديب وإن كانت ترضينا نحن القراء،بل كثيراً ما ننبهر بمدى براعة الأديب فى حسن صياغته وروعة تركيبه لألفاظه،ولكن على الرغم من هذا كله فإن الألفاظ لا تنقل إلا جانباً ضئيلاً من جوانب التوهج العاطفى الناتج عن إحساس صادق بالتجربة،تنبه من القدماء إلى هذا الأمر أبو حيان التوحيدى فى كتابه الإشارات الإلهية فقال :

" بالله أيها الصديق المحالف والصاحب المكانف : أما ترى انتثارى فى كلمى ، ووقوعى دون مقصدى ومرامى ، وتلعثمى فى عباراتى ، وتعثرى فى إشاراتى ، حتى كأنى أجنبى من حالى ، أوغريب فى مالى ؟ وهذا والله شعار المرحومين ، وحيلة المقصريين ، ولا عجب من عىّ العبد فى وصف سيده ، فمن كان وجده كوجدى وكنايته كنايتى ، وإيماؤه إيمائى ، يحصر وإن كان بليغاً ، ويتبلد وإن كان متحفظاً ، ويغيب وإن كان حاضراً ،ويعجز وإن كان قادراً ، ويحار وإن كان ناظراً ، ويكلّ وإن كان سائراً " (١) .

فهذا القول-الذى يكشف عن عجز اللغة عن التعبير عما يعتلج فى صدر الأديب ويدور بخلده من المشاعر ــ صادرمن رجل قال عنه ياقوت الحموى :"

---

(١) الإشارات الإلهية لأبى حيان التوحيدى . ص ٢٨٤ . تحقيق وداد القاضى طبعة دار الثقافة ببيروت سنة ١٩٧٣م .ويراجع مجلة فصول عدد٣ ١٩٩٢ ص٣٢٦

محقق الكلام ومتكلم المحققين وإمام البلغاء "[1]ألا يكشف هذا عن عجز اللغة ــ مهما كانت عن تجسيد المشاعر بنفس الصورة التى أحسها الأديب ، من هنا لجأ شعراء الصوفية إلى الغموض فى شعرهم ، ومالوا إلى استخدام لغة تحتاج إلى فهم خاص ورؤية مختلفة تماماً عن المدلول اللفظى المعجمى،ولننظر إلى ابن عربى وهو يقول فى الوضوء:

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سرٍّ وإلاّ تيمم بالصَّعيد وبالصَّخر

وقدم إماماً كنت أنت إمامه وصل صلاة الفجر فى أول العصر

فهذى صلاة العارفين بربهم فإن كنت منهم فانضح البرّ بالبحر

" فهذا كلام ابن عربى صُرف عن حقائقه اللغوية التى تعارف عليها أصحاب هذه اللغة العربية ، ولن يستطيع أحد من علماء هذه اللغة وأدبائها أن يعرف المدلولات التى أرادها ابن عربىّ هنا .

ولكن الشيخ (محمد أبو المواهب الشاذلى) استطاع ــ كما ادعى ــ أن يَفُكَّ رموزها وأن يصرح بمكنونها ، فيقول : المراد بالوضوء طهارة أعضاء الصفات القلبية من النجاسات المعنوية !.. وماء الغيب خُلُوص التوحيد ، فإن لم يخلص لك بالعيان فتطهر بصعيد البرهان !.. وقدم إماماً كان إمامك يوم الخطاب ، ثم صرت أنت أمامه بعد سدل الحجاب !... وصل صلاة الفجر التى هى صلاة نهارِ كشفِ الشهود بعد حجاب ظلمة الوجود أول العصر الذى هو أول زمان انفجار فجرك ،ولا تتأخر لآخر دورك ، لأن الحكم للوقت ، والتأخير له مقت ، فهذه صلاة العارفين بربهم ، وهم الذين لم يخرجوا عن متابعة الأحكام الشرعية فى جميع مشاهدة الربوبية ، فإن كنت منهم فانضح ــ يعنى اغسل ــ بماء بحر الحقيقة ما تدنس من بَرّ الشريعة .

---

(١) معجم الأدباء لياقوت الحموى تحقيق مرجليوث،٥/٣٨٠ القاهرة ١٩٢٤ ، ١٩٢٥

وهذا الشرح ــ كما ترى ــ قد زاد الأمر غموضاً ، وألقى إليه بكثير من الرموز الصوفية الكثيفة ، فما هى أعضاء الصفات القلبية ؟ وما هو صعيد البرهان ؟ وما يوم الخطاب ؟ وما سدل الحجاب ؟ وما انفجار الفجر ؟ وما ماء الحقيقة ؟ وما بر الشريعة ؟... إنها جميعاً طلاسم واردة على قاموس اللغة ، وما شأن القارئ لها إلاّ شأن المنجم الذى وصفه المعرى بقوله :

كأن منجم الأقوام أعمى لديه الصحف يقرؤها بلمس " (١)

ولا حاجة للتعليق على كلام الأستاذ الخطيب ، فالنص يكشف عن غموض والتواء صوفى جعل هذه اللغة تنطوى على مدلولات خاصة ومفاهيم مختلفة لا يستطيع أن يدركها القارئ .....

وربما كان الغموض ناتجاً عن استخدام الرمز أو الإشارة لشىء ما ،فهذا أبو العباس المرسى ، يقول : (٢)

أعندك من ليلى حديث محرر بإيراده يحيا الرميم وينشر

فعهدى بها العهد القديم وإننى على كل حال فى هواها مقصر

وقد كان منها الطيف قدماً يزورنى ولما يزر ما باله يتعذر

فهل بخلت حتى بطيف خيالها أم اعتل حتى لا يصح التصور

ومن وجه ليلى طلعةالشمس تغتنى وفى الشمس أبصار الورى تتحير

وما احتجبت إلاّ برفع حجابها ومن عجب أن الظهور تستر

---

(١) القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤ م

(٢) لطائف المنن لابن عطاء الله السكندرى ص ٣٢ ، المطبعة الفخرية القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢هـ ١٩٧٢م .

" تتبدى لنا الإشارة إلى الإلهى باستخدام الرمز الأنثوى ، الذى لجا إليه شعراء الصوفية ، بهدف التعبير عن المطلق بواسطة الصورة الحسية ، وذلك من اجل التوصل تعبيرياً إلى تشكيل علاقة مع العلو غير المتعين ، وهنا يظهر أن الرمز لا يطابق المرموز إليه ، وأن الاسم لا يماثل المسمى ، وإنما يكتفى بالإشارة إليه ، فهو يظهر باعتباره مَعْبَراً للإلهى ، وعلامة تكشف عن العديد من الاحتمالات والرؤى والتلميحات ، يكون التوقف عندها ضرورياً بسبب ما تحمله من شحنة خاصة ، ومن مخزون يشير إلى ما بعدها وينفتح عليه باستمرار "[1] .

لاشك أن هذه المقولات وغيرهاوالمعالجات للشعر تجعلنا نجزم بأنها عملية حذلقة لا تثرى القارىء ولا نستطيع أن نقول بأن أصحاب هذه التجارب تافهون وإنما هى تجارب روحية غامضة فالتعبير فيها ملتو ، كما لجأ كذلك شعراء الصوفية من قبل إلى أسلوب المتناقضات فيروى ابن عربى حكاية حدثت له فى الطواف فيقول : " كنت أطوف ذات ليلة بالبيت ، فطاب وقتى ، وهزنى حال كنت أعرفه ، فخرجت من البلاط من أجل الناس ، وطفت على الرمل ، فحضرتنى أبيات ، فأنشدتها ، أسمع بها نفسى ومن يلينى ، لو كان هناك أحد ــ وهى قوله: ــ

ليت شعرى هل دَرَوْا أى قلب ملكوا
وفؤادى لو درى أى شِعْب سلكوا
أتراهم سلموا أم تراهم هلكوا
حار أرباب الهوى فى الهوى ، وارتبكوا

فلم أشعر إلا بضربة بين كتفى بكف ألين من الخز ، فالتفتّ فإذا بجارية

---

(١) الشعر الصوفى بين مفهوم الانفصال والتوحد ، وفيق سليطين تقديم د/نصر حامد أبوزيد ص١٠٢الناشر مصر العربية للنشر والتوزيع القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٥

من بنات الروم .....فقالت يا سيدى كيف قلت ؟ " وأخذ ابن عربى يعرض الأبيات الأربعة السالفة بيتاً بيتاً ، فتعلق عليه الجارية الرومية الأديبة بما يكشف عما فيه من تناقض المعنى ، ففى البيت الأول لا يتفق أن يكون من ملك القلب جاهلاً به ؛ وفى البيت الثانى لا يتفق أن يدرى الفؤاد شيئاً عن الشعْب الذى سلكه الأحبة ، لأنه هو الذى يحول دون أن يحصل الفؤاد على علم ، فكيف يكون الحائل دون العلم معلوماً ؟ وفى البيت الثالث خطأ فى توجيه السؤال ، لأن الأصح هو أن يسأل المحب نفسه عن نفسه إن كان قد أسلم أو هلك بعد فراق أحبته ؛ وفى البيت الرابع لا يتفق أن ينصرف المحب بكل قلبه إلى من يهوى ، ثم تبقى له مع ذلك فضْلة يحار بها .

هكذا أخرجت الجارية الأدبية مواضع التناقض فى الأبيات الأربعة وذلك لأنها فهمتها بمعانيها الظاهرة؛لكن هذا التناقض البادى يزول إذا ما جاوزت ظاهر الأمر إلى باطنه؛وهنا يأخذ ابن عربى فى شرح هذه الأبيات نفسها شرحاً باطنياً صوفياً ليبين كيف ينبغى أن تفهم،وكأنما أراد أن يرسم أمامنا طريقة الفهم الصحيح عند قراءة ديوانه الذى قدم له بتلك المقدمة " [1] .

وأرى أن هذا اللون من الشعر الصوفى لا يرقى إلى خلق نوع من التجاوب الشعورى بين الشاعر والقارئ ، خاصة وأنه يعبر عن حالات ذهنية وباطنية تنبئ عن كثير من معانى الالتواء والغموض ، ولا يَفْهم معناه إلاّ من كان على قدر كبير من الشعور والفكر الصوفى ، وأرى أن مثل هذا اللون الشعرى يعد شعراً تعليمياً ، فكأن الشاعر الصوفى ينظم فى أبياته سلسلة من المعانى المعقدة التى تتلى فى حلقات الدرس الصوفى، كما ينظم علماء النحو والتجويد منظوماتهم ليتلوها تلاميذهم ، ولا ريب فى أن هذا اللون من النظم لا يتصل بقليل أو كثير إلى الشعر وغاياته المرجوة ، والنماذج التى سبق ذكرها

---

(١) قيم من التراث د/ زكى نجيب محمود ص ٥٨،٥٩ دار الشروق

تكشف عن جمود أشبه ما يكون بجمود المنظومات العلمية .

ولعل من صور الشعر الرمزى التى شاعت عند شعراء الصوفية التعبير عن شدة الحب والعشق للذات الإلهية من خلال الحديث عن المحبوبة،فهذاابن الفارض يقول فى قصيدة له بعنوان(هى البدر أوصافاً) :

نَعَمْ،بالصَّبا ، قلبى صَبا لأحبَّتى ، فيا حبذا ذاك الشذى حين هبت
سَرَتْ ، فأسرَّتْ للفؤاد ، غُدَيَّةً أحاديثَ جيران العُذيب ، فسرت
مَهيمنةٌ بالروض، لدن ردائها ، بها مرضٌ من شأنها برء علَّتى
لها بأعيشاب الحجاز تحرش به لابخمر،دون صحبى سكرتى
تذكرنى العهد القديم ، لأنها حديثةُ عهد من أهيل مودّتى

إلى أن يقول :

وإن عَرَضَت أطرق حياءً وهيبةً وإن أعرضت أشفق فلم أتلفت
ولو لم يزرنىطيفهانحو مضجعى قضيت ولم أسطع أراها بمقلتى
تخيُّل زورٍ كان زورُ خيالها لمُشْبِهه عن غير رؤيا ورؤية
بفرط غرامى ذكرَ قيس بوجده وبهجتها لبنى أَمَتُ وأمَّتِ
فلم أرَ مثلى عاشقاً ذا صبابة ولا مثلها معشوقة ذات بهجة
هى البدر أوصافاً وذاتى سماؤها سمت بى إليها همتى حين همت
منازلها منى الذراعُ توسُّداً وقلبى وطرفى أوطنت أو تجلت
فما الوَدْق إلاّ من تحلُّب مَدْمَعِى وما البرق إلاّ من تَلَهّبِ زفرتى
وكنت أرى أن التعشق منحة لقلبى فما إن كان إلاّ لمحنتى [1]

فهل التعبير عن الحب الإلهى يناسبه هذه الكلمات التى يستخدمها شعراء

---

(١) ديوان ابن الفارض شرح مهدى محمد ناصرالدين ص٨٣ طبعة دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ ١٩٩٠.

الغزل ؟!!! أم يناسبه ذكر لبنى وقيس؟!!!ولماذا يلجأ شعراء الصوفية إلى مثل هذا الأسلوب ؟!!!

ولئن كان الغموض مبرراً عند شعراء الصوفية من أمثال ابن عربى بالتعبير عن المعانى والعوالم الروحية والنفسية ، فما المبرر الذى دفع شعراء الحداثة إلى إغراق الساحة الأدبية بهذا الكم الهائل من الأشعار التى يعجز عن فهمها المتخصص فما بالنا بالمثقف العادى والقارىء البسيط ؟ لاشك أن الدافع يتمثل فى مجاراة الحركة الغربية والحياة الأوروبية الأدبية وما اجتاحها من موجات سريالية تجريبية فى كل نشاطات الفنون .

وربما كان رأس الحداثة فى الادب العربى الشاعر السورى أدونيس والذى يقول :

غنيت قلت لايامى : رفعت دمى

مدائناً تلد الإيقاع .. قلت لها

مددته غصناً يشتاق .. يحملنى

فى نسغه ، ويضىء الموت والكفنا

غنيت : قلت لأيامى أبحت دمى (١)

فهذه الأبيات لا تكشف عن تجربة واضحة القسمات ، وليست ذات معالم محددة ترسمها الألفاظ ، وإنما يحوطها الإبهام والغموض،فالتركيب مفكك ولا يبلغ بالقارىء إلا إلى تشتيت الذهن،ويؤدى إلى دوار يعترى القارىء عند البحث عما وراء القصيدة وما ترمى إليه من أفكار،فلا تستطيع أن تدرك العلاقة بين المدائن وبين تلد الإيقاع ، فضلاً عن قبح الصورة،وتتبع الأبيات يكشف عن كثير من هذا التناقض والغموض .

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة لأدونيس ، الجزء الثانى ص١٩٣ الطبعة الخامسة .

ولننظر إلى نموذج آخر من نماذج الشعر الحداثى المبهم الغامض، وهـــى قصيدة نشرتها مجلة إبداع لعبدالمنعم رمضان والتى بعنوان (فناء ما .....حنين ما) يقول فيها :

إنها ردهة الوقت
تنشع بالملكات القديمة
والحجب الأولية
تنساب بين ذراعين
ثم تجر الذبائح
والعاشقين
إلى غيبة
تحبل الأرض بالضائع الآن
لا يتوقف فيها النسيخ عن الروغان
وتدخل كل الأزقة
فى طرق لا حدود لها
ويبيت الكلام عن حمأة
يستبد بما فيه من خجل
ويرص على الأرض
كل تعاذيه
ينفرط الشعر من ثقبه الأبدى
يكاد يراقص أنسجة
من رسوم
يرفرف تحت جناحين
منتهيين
إلى أفق شاء أن يتفرق
أو شاءت الريح
أن تدّعيه قدميكما

الغواية
تصبح قنينة
من سقوف
ويصبح فوق السقوف
قراصنة (١)

فهذه القصيدة الغائمة تطالعنا بغموضها منذ بدايتها ، حتى فى عنوانها الذى لا نستطيع أن نفهم ما يقصده الشاعر، فما الهدف والغاية من هذا الالتواء الذى لا يؤدى إلا إلى عزلة وجفوة بين القارىء والشاعر

وقد بلغت درجة الإسفاف عند شعراء الحداثة إلى استخدام ألفاظ العامية بركاكتها وضعفها،وكذلك استخدام شكل ورسم الحروف على الورق فى رسم أبعاد المعنى والمدلول،لا لشىء سوى تقليد المدرسة الرمزية الفرنسية،يقول أحدهم:

يخطفنى حصانى
يخطف لونى
غراب الضاد
يكسر ف عيونى
سبت النور
يغلق صخرة مجدى
ت
س
ق
ط
همزة وصلى
نـ قـ ط ـة فى سطر

---

(١) إبداع عدد نوفمبر سنة ١٩٨٩م. ص٥

تتقابل فيها الأضداد [١] .

لاشك أن الأدب الإسلامى يختلف مع هذا التصوير التشكيلى للألفاظ ، والذى يدل على حذلقة واتباع للأدب الفرنسى دون فهم للفرق بين الرسم وأدواته والشعر إمكاناته التعبيرية ، إن غاية الشعر فى الأدب الإسلامى تنأى عن هذا المستوى المبهم ، كما أنها لا تنحط إلى درجة السطحية والتقريرية والمباشرة الأسلوبية ، فعلى الشاعر ــ وكذلك الأديب ــ أن يوظف لغته الخاصة وإيحاءاته المميزة التى تثرى تجربته وتكشف عنها وتوضح معالمها .

والإيحاء اللفظى له أهمية فى الشعر كأهمية الخيال ، فهو يمثل القدرة على الانتقال من المعنى الذهنى إلى معان عميقة " ومعنى إيحاء الكلمة إثارتها فى النفس معانى كثيرة أحاطت بها مع مرور الزمن حتى صار النطق بالكلمة مثيراً لهذه المعانى فى نفس سامعها وإن لم تذكر قواميس اللغة هذه المعانى " [٢].

فأول عامل يعطى للفظ قيمة الإيحاء هو عامل الزمن، وما تكسبه الكلمة من ملابسات زمانية وعصرية ، ولعل التطور العقدى الذى طرأ على العرب أكسب كثيراً من الألفاظ معانى إيحائية إضافة إلى معانيها ومدلولاتها الذهنية فى المعاجم ، لذا فإن قدرة الأديب تتمثل فى اختياره للكلمة ذات الإيحاء المعبر ، لأنها وحدها الأجدر على أداء المعنى الذى فى نفسه " والشاعر الموفق هو الذى يهتدى إلى الكلمة التى تكون شديدة الإبانة عما يريد ، لأن التمييز بين الألفاظ شديد " [٣].

وحسن اختيار الكلمة الموحية ومدى دقتها يدل على انسجام شعور الشاعر ، ويدل كذلك على قدرة فنية وشاعريه ملهمة ،والكلمة الموحية فى الشعر الحديث تنقسم إلى نوعين :الأول : الإيحاء بالألفاظ من خلال ما تحمله من دلالات زمانية

---

(١) شعر الحداثة فى مصرد/ كمال نشأتص ١٩٣ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب

(٢) أسس النقد الأدبىعند العرب د/ أحمد بدوى : ص٤٥٥ دار نهضة مصر ١٩٩٤.

(٣) أسس النقد الأدبى عند العرب د/ أحمد أحمد بدوى : ص٤٥٢.

وعصرية " فالكلمات والعبارات فى الشعر يقصد بها بعث صور إيحائية ، وفى هذه الصور يعيد الشاعر إلى الكلمات قوة معانيها التصويرية الفطرية فى اللغة، إذ الأصل فى الكلمات فى نشأتها الأولى أنها كانت تدل على صور حسية ثم صارت مجردة من المحسات ، وهذا معنى ما يقال من أن الكلمات فى الأصل كانت (هيروغليفية) الدلالة أو تصويرية والشاعر يحاول أن يتحدث بلغة تصويرية فى مفرداته وجمله ، أى أنه يعيد إلى اللغة دلالتها الهيروغليفية التصويرية الأولى بما يبث فى لغته من صور وإيحاءات " (١).

الثانى:فهو الإيحاء الإيقاعى عن طريق الأصوات وخصائصها ، وما تشعه — عن طريق وزنها وجرس حروفها — من دلالات للمعنى الذى تدل عليه فمن المؤكد"أن جرس اللفظ كان له حسابه فى الدلالة،وكان جزءًا فى الاصطلاح الذى أنشأ المعنى اللغوى للفظة " (٢) .

وقد تنبه النقاد قديماً إلى وظيفة الإيقاع التصويرى فى الشعر وكشف ابن جنى عن علاقة أجراس الحروف والأصوات بالمعنى، كالهدير والصرير... إلخ(٣).

على أن كثرة الألفاظ الموحية قد تكسب القصيدة جواً من الغموض والالتواء مما يجعل النص الشعرى طلاسم تستغلق معانيها على المستمع، ولا يستطيع أن يلاحق الشاعر فى أفكاره الغامضة " فالشاعر ينبغى ألا يسرف على نفسه فى استخدام الكلمات الشعرية الخلابة التى يكثر فيها الإشعاع والإيحاء ، كذلك ينبغى ألا يسرف على نفسه فى استخدام المجاز والاستعارة ، حتى لا يتحول شعره إلى طلاسم مغلقة " (٤).

---

(١) النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمى هلال : ص٤٧٩ .

(٢) النقد الأدبى أصوله ومناهجه سيد قطب : ص٣٤ .

(٣) يراجع الخصائص لابن جنى١/٥٤٩،٥٤٤،٦٦:مطبعة الهلال ١٣٣١هـ١٩١٣م

(٤) فى النقد الأدبى د/ شوقى ضيف : ص١١٢ : طبعة دار المعارف الطبعة الثامنة

وفى ظلال هذه الرؤية النقدية نقرأ ما أبدعه الشاعر اليمنى/ محمد محمود الزبيرى [١] فى قصيدته (رثاء شعب) [٢] والتى يقول فى أولها .

ما كنت أحسب أنى سوف أبكيه ... وأن شعرى إلى الدنيا سينعيه
وأننى سوف أبقى بعد نكبته ... حيناً أمزق روحى فى مراثيه
وأن من كنت أرجوهم لنجدته ... يوم الكريهة كانوا من أعاديه
ألقى بأبطاله فى شر مهلكة ... لأنهم حققوا أغلى أمانيه
قد عاش دهراً طويلاً فى دياجره ... حتى انمحى كل نور فى مآقيه
فصار لا الليل يؤذيه بظلمته ... ولا الصباح إذا ما لاح يهديه
فإن سلمت فإنى قد وهبت له ... خلاصة العمر ماضيه وآتيه
وكنت أحرص لو أنى أموت له ... وحدى فداءً ويبقى كل أهليه
لكنه أجل يأتى لمو عده ... ما كل من يتمناه ملاقيه
وليس لى بعده عمر وإن بقيت ... أنفاس روحى تُفديه وترثيه
فلست أسكن إلاّ فى مقابره ... ولست أقتات إلاّ من مآسيه
وما أنا فيه إلاّ زفرة بقيت ... تهيم بين رفات من بواقيه
إذا وقفت جثا دهرى بكلكله ... فوقى وجرَّت بيافوخى دواهيه
وإن مشيت به ألقت غياهبه ... على طريقى شباكاً من أفاعيه

---

(١) " الشاعر اليمنى المعروف ، ولد بصنعاء وتلقى جزءاً من تعليمه بها ثم انتقل إلى مصر ،وكان علما من أعلام الكفاح من أجل نضة الإسلام وبلاد المسلمين ، وظل هكذا إلى اغتيل فى أول إبريل سنة ١٩٦٥م"يراجع شعراء الدعوة الإسلامية ٢١/١ .

(٢) " بدأ نظمها إثر مصرع الثورة اليمنية سنة ١٩٨٤م ، يقول الشاعر عن ظروف نظم القصيدة : نظمتها وأنا مطارد فى الهند ، هارب من البشر ، محظور على أن أمشى على ظهر الأرض اسمى مسجل فى القائمة السوداء فى مصر " نقلاً عن شعراء الدعوة الإسلامية فى العصر الحديث أحمد عبد اللطيف الجدع ــ حسنى أدهم جرار،الجزء الأول ص ٢٨،طبع مؤسسة الرسالة،الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ-١٩٨٣ م

تكتلت قوة الدنيا بأجمعهـــــا فى طعنة مزقت صدرى وما فيه [١]

فهذه الأبيات تعبر تمام التعبير عن عاطفـــة الشـــاعر ، ومنســـجمة تمـــام الانسجام مع تجربته ، كما أنها تتلائم مع واقع الأمة .

ومن هذه النماذج الجيدة قصيدة (دعوة المظلوم) للشاعر الفلسطينى أحمـــد محمد صديق[٢] والتى يقول فيها :[٣]

تفلتت من شرور الأرض وانطلقت كالسهم يحدو بها صدق وإيمان
حتى إذا غرقت فى النور وانقشعت فى حضرة القدس آلام وأحزان
لأســـتجيبن للمظلـــوم دعوتـــه ولو تطـــاول أزمـــان وأزمـــان
فلا تكونن مكتوف اليـــدين علـــى عجزوعندك من ذىالعرش سلطان

ولشاعر العروبةوالإسلام أحمد محرم رائعة فى المديح النبوى يقول فيها:

لا اليوم يومك إن ولدت ولا الغد ياليت إنـــك كـــل يـــوم تولـــد
عاد الظلام كما عهـــدت وهـــذه دنيـــا الجهالـــة والأذى تتجـــدد
ما ذاق مهلكه (أبو جهل) ولا أودى (أبو لهب) وربك يشـــهد
فى كـــل يـــوم منهمـــا متجبـــر يأبى الرشـــاد وظـــالم يتمـــرد
وعبادة الأصـــنام قـــام دعائمهـــا ملء الممالك ما على يدهم يـــد
فلكل قوم مـــن ســـفاهة رأيهـــم ربّ يُعظـــم أو إلـــه يعبـــد
قم يا (محمد) ما لحقك ناصر حتى تقوم وما لـــدينك منجـــد
قم فى جنودك غازيا وافتح بهـــم دنيا الجحـــود لأمـــة لا تجحـــد

---

١ شعراء الدعوة الإسلامية الجزء الأول ص ٣٧ ، ٣٨

(٢) "شاعر فلسطينى ، ولد عام ١٩٤١م من أسرة فلسطينية آثرت البقاء والدفاع عن الدين والوطن وله ديوان باسم ناء الحق طبع بمطابع الدوحة الحديثـــة بقطـــر ســـنة١٩٧٧م يتناول قضايا دينه وأمته" يراجع شعراء الدعوة الإسلامية ١/٥١ .

(٣) يراجع شعراء الدعوة الإسلامية ١/ ٧١

إلى أن يقول :

أسفى على الإسلام هان عرينـــه وعدا عليه الفاتـــك المستأســـد[١]

لا شك أن هذه الفكرة التى طوعها محرم للمديح النبوى ، لتكون عنصـــراً مـــن عناصره ، امتداد لفكر محرم العام الذى يدور حول نقد المجتمع عقدياً ،ومحاولة عرض الحل الإسلامى لكل هذا فى أسلوب أدبى مميز .

ولننظر إلى العاطفة الجياشة التى عبر عنها د/ يوسف القرضاوى ، موظفاً إيحاءات الألفاظ وإشعاعاتها لتضئ جوانب الفكرة وتثرى وجدان القـــارئ حـــين يصور مراحل الاضطهاد التى عانتها الأمة فيقول :

يا قوم قد أيد التـــاريخ حجتنـــا وحصحص الحق للمستبصر الآنـــا
إنا أقمنا على إخلاص دعوتنـــا وصدقها ألـــف برهـــان وبرهانـــا
لقد نفونا فقلنا :الماء أين جـــرى يحى الموات ويروى كـــلَّ ظمأنـــا
قالوا:إلى السجن،قلنا:شعبة فُتحت ليجمعونا بهـــــا فى الله أخوانـــا
قالوا:إلى الطور،قلنا ذاك مؤتمر فيه نقرر مـــــا يخشاه أعـــدانا !
فهو المصلى نُزكِّى فيه أنفســـنا وهو المصيف نقوى فيـــه أبـــدانا
معسكرٌ صاغنا جنداً لمعركـــة ومعهدٌ زادنـــا للحـــــق تبيانـــا
من حرموا الجمع منا فوق أربعة ضمُّوا الألوف بغاب الطور أُسدانا!
راموه منفى وتضييقاً،فكان لنـــا بنعمة الحـــب والإيمـــان بســـتانا
هذا هوالطور شاءوا أن نذوب به وشاء ربـــك أن نـــزداد إيمانـــا[٢]

وفى النهاية فإننا لا ندعو إلى لغة حداثية جديدة تختلف عن لغة العصـــور

---

(١) ديوان محرم : ج١ مج٢ : ص٩٢٧ .

(٢) نفحات ولفحات ، شعر د/ يوسف القرضاوى ص ٤٤،٤٥ طبعة دار الوفـــاء الطبعـــة الثالثة ١٤٠٩هـــ ١٩٨٩م .

السابقة ، ولا إلى لغة حجرية تكون عبارة عن قوالب جاهزة نأخذها من لغة القدماء ، وإنما ندعو إلى لغة عربية تراعى فينا طبيعة عصرنا وذوقنا وكاشفة عن جماليات اللغة التى تضىء جوانب الجمال فى القصيدة من إيحاء وإشعاع وإيقاع ودلالة .....إلخ ، لا تلك اللغة الحداثية التى خلقت الجفاء بين العقل العربى وهذا الكم الهائل من الأشعار التى لاتحمل من الشعر إلاّ خيالاً مريضاً .

٢ــ الصورة الخيالية

الصورة الخيالية من أهم العناصر التصويرية التى أخذت شكلاً مختلفاً على يد الحداثيين عن صورة الخيال التى عرفت فى الشعر العربى قديماً،فالخيال العربى يعتمد على الإغراق فى الصورة والإفراط فى تتبع أوصاف الأشياء فالإغراق فى الصورة يتمثل فى المبالغة فى رسم أبعادها مثلاً،أو تتبع المعنى وصياغته على نمط خيالى بسيط لاعمق فيه من ذلك ماقاله بشاربن برد فى وصف قوة جيش قومه فيمواجهة الأعداء :

كأن مثار النقع فوق رؤسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فأهل البلاغة يطلقون على هذه الصورة اسم التشبيه المركب لاعتماده على تداخل العناصر المكونة للصورة ، فالخيال هنا يعتمد على صورة التشبيه فيوضح الشاعر الغبار وقد سد الأفق فاحتجبت الشمس وأظلم النهار ، وهو كما نرى خيال بسيط وليس معقداً .

وقد تكون الصورة العربية أسطورية ، ولكنها مع ذلك تصاغ فى نمط بياني أيضاً كالتشبيه مثلاً ، وهذا النوع من الصور لا يحمل من الأسطورة سوى أن يذكر اسم حيوان خيالى كالغول ونحوه ، من ذلك قول الله عز وجل فى وصف شجرة الزقوم : (طلعها كأنه رؤس الشياطين) [١] وقول امرؤ القيس :

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال [٢]

فالخيال هنا قائم على التشبيه برؤس الشياطين وهذه مخلوقات غيبية لم يعرف لأحد أن اطلع عليها أو عرف ملمح القبح فيها ، غير أن الشعور الدينى الإسلامى رسخ فى نفوسنا تخيل مجامع القبح فى هذه الشياطين ، أما الأغوال

---

(١) سورة الصافات آية ٦٥

(٢) ديوان امرؤ القيس ص٣٣تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف الطبعة الثالثة .

فهى مخلوقات أسطورية لم يكن لها وجود سوى فى المخيلة العربية بتصورها كائنات مخيفة قبيحة مهلكة مدمرة ، هذه هى رؤية العرب للخيال وهى رؤية بسيطة لا عمق فيها ولا استطراد فى وصف الصور الأسطورية أو الخيالية .

وإذا أردنا أن نتعرف على معنى الأسطورة فقد أوضحه الدكتور أحمد كمال زكى بقوله " هى قصص خيالية قوامها الخوارق والأعاجيب التى لم تقع فى التاريخ ولا يقبلها العقل " (١)

ولئن كان استخدام القصص الخيالية فى الأدب العربى والتى قوامها الخوارق والأعاجيب التى لم تقع فى التاريخ ــ على حد قول الدكتور كمال زكى ــ يعتمد على مجرد التشبيه القريب أو الصور البسيطة التى لا ترقى إلى مستوى التتبع والعمق وراء مشهد خيالى أو أسطورى ، وكأنه قصة مكتملة الأجزاء وافرة المعالم والتفاصيل ، إن كان هذا الأمر يصور واقع الشعر العربى فإن الأسطورة كانت معروفة وأصيلة ومتعمقة فى جذور العقلية العربية ،يكشف د/كمال زكى عن أصالة الأسطورة فى الفكر والثقافة العربية رغم أن الإبداع العربى لم يتضمن صوراً عميقة لهذا الخيال الأسطورى ، يقول : " وفى بعض الشعر الجاهلى والإسلامى يضع أمامنا تراثاً أسطورياً يستحق الدراسة الجادة ونلتقى فيه بالبطل الأسطورى والسحر والمارد والحية ذات الرأسين ونقرأ عن أسجاع الكهان الدينية ، وعن شداد عاد المتمرد ،وعن لقمان الذى خير بين بقاء سبعة بعران وسبعة أنسر كلما هلك واحد خلف بعده آخر ، فاختار الأنسر كذلك تلقانا الآلهة اللاّت وأورتلت والعزى وعشتر وهبل والمقة الذى ظل نحو ألف سنة كبير الآلهة فى اليمن ، ويرى هيرودوت أن أورتلت هو ديونيسوس الذى كان إله الشمس عند الساميين فى الشمال وإله الخصب عند الإغريق ، كما يرى أن اللات هى أورانيا ألهة المشترى ، فى حين أن عشتر أو عشتار أو عشتروت

---

(١) الأساطير د/ أحمد كمال زكى ص٤١ مكتبة الأسرة ٢٠٠٢م .

هى الزهرة ، ومن بعد هيرودوت جماعة منها استرابون جعلت أورانوس وزيوس آلهة عربيين أو ساميين جنوبيين ، ولكننا نفتقد المصادر العربية التى تشير إلى ذلك ، ولوكانت بقيت لدينا آداب العرب الدينية الأولى أوصلواتهم أوأغانيهم الشعبية أو وصاياهم التى كشف عن نظيرها فى بابل وأشور لكان الأمر – فى تقييم – وتصوير طقوسها شيئاً خصباً حقاً يضيف إلى تراث الإنسانية ما هى فى حاجة إليه لتستكمل كثيراً من ملامحها الضائعة " [١].

وإشارة الدكتور فى بداية النص (وفى بعض الشعر الجاهلى والإسلامى يضع أمامنا تراثاً أسطورياً يستحق الدراسة الجادة) يبين أن الأدب العربى يحتوى على كم كبير من الأساطير،وقد حاول أن يربط بين الأصنام والمعبودات الجاهلية العربية والآلهة اليونانية،ولكن رغم هذا فإن هذه الأساطير حول الآلة الجاهلية لم تكن لتتعدى المرويات والفحكايات التى تناظر فى أيامنا هذه القصص الشعبى فلم يكن الشعر ليتناول خرافة حول إله ما كما هو الحال عند اليونان ، وإنما يأتى ذكر الإله على وجه التقديس وطلب الحاجة ونحو ذلك،من ذلك ما أورده ابن الكلبى صاحب كتابه الأصنام حين قال:"كانت قريش تطوف بالكعبة وتقول:

والاّتِ والعزى ومناة الثالثة الأخرى ! فإنهن الغرانيق العلى

وإن لشفاعتهن ترتجى ![٢]

ولم يكن للعرب أساطير شعرية بمقدار ما كان لها من خرافات حول الآلهة كتلك الخرافة حول إساف ونائلة فقد قيل " أنهما لما مسخا حجرين ووضعا عند الكعبة ليتعظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الأصنام عبدا معها ، وكان أحدهما بلِصق الكعبة والآخر فى موضع زمزم ، فنقلت قريش الذى كان بلِصق

---

(١) الأساطير د/ أحمد كمال زكى ص٣٤،٣٥

(٢) الأصنام لابن الكلبى ص ١٩ تحقيق أ/أحمد كمال زكى طبعة دار الكتب الطبعة الخامسة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣ م.

الكعبة إلى الآخر فكانوا ينحرون ويذبحون عندهما " [١].

هذه هى صورة الأسطورة حول الآلهة ، فهل هذا يناظر ما نراه فى ملحمة كملحمة الهند المسماة بالمهابهاراتا ؟... فقد جاء فى أحد أجزائها والذى يتضمن تصوير رحلة العودة من المنفى وهى الفترة التى قضاها (آل باندوف) بعد خسرانهم لملك أبيهم فى مملكة (هاستينابور)، فقد تضمنت هذه الملحمة تصويراً لصنيع (ساهاديف) أحد أبناء الملك" ثم هبط سريعاً وراح يجرى حتى وصل إلى بحيرة هادئة صافية وهم بأن يروى عطشه ... لكنه سمع صوتاً يحذره بألاّ يشرب ، تلفت حوله فلم ير إلاّ طائراً قريباً منه يشبه البجعة ، قال فى نفسه لابد أنى توهمت سماع الصوت لأن الطيور لا تتكلم ، وراح يشرب حتى أطفأ ظمأه ، وفى اللحظة التالية انكفئ على شاطئ البحيرة ميتاً ،ولما طال انتظار أخوته له ... تبعه ثلاثة منهم إلى البحيرة واحداً تلو الآخر ، ورغم أن الطائر حذر كلا منهم إلاّ أنهم شربوا من البحيرة وماتوا ، وذهبت خلفهم (دروبادى) وهناك رأت أربعة من أزواجها موتى، ورغم أن الطائر حذرها أيضاً إلاّ أن الظمأ الشديد دفعها إلى الشرب من البحيرة فماتت،ودفع القلق (دهارمابوترا) إلى البحث عن أخوته وزوجته،وعند شاطىء البحيرة رأى جثثهم فأطلق صرخة فزع حادة ، من ذا الذى استطاع أن يقتل (بيم) أقوى رجل على الأرض ؟! والمحارب العظيم (أرجون) ؟! وإذا بصوت الطائر يرد عليه:لم يستمعوا لنصيحتى بعدم الشرب من البحيرة ، وإنى أحذرك أيضاً وأطالبك بأن تجيب على أسئلتى ،وراح الطائر يوجه له أسئلة عديدة عن الإنسان .. والعقيدة .. والحياة والموت ، وأجابه (دهارمابوترا) إجابات سديدة عند ذلك انقلب الطائر إلى (ياما) ملك الموت وقال أنت رجل حكيم حقاً وعليك أن تسلك طريق الحق دائماً لكى تنتصر ، وسأعيد إليك إخوتك وزوجتك ، وفى الحال وفى ملك الموت بوعده وأعاد الموتى الخمسة إلى الحياة .[٢]

---

(١) السابق ص ٢٩

٢) الهابهاراتاوالرامايانا ترجمة وتقديم سريال عبد الملك ص ٦٢ ،٦٣ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠م

فهل هذه الخيالات تشبه الخيال العربى ؟!!! فالأدب العربى لم يكن معنياً بالملاحم والمطولات التى تتضمن أساطير وقصصاً خرافية أوبطولية " فلم تكن المطولات من هم شعرائه ، ولم يرتق فيه القصص ولم يحتو على شخصيات متخياة من خلق الأدباء ، وظل الحاضر القريب والواقع المحقق ديدن أدبائه ، فالأديب العربى كان شديد الإيجاز فى مقاله وتعبيره عما يحس ، يعبر عن أفكاره أشتاتاً كلما عنّ له حافز إلى الكتابة ، لا يدخر أفكاره ولايربط منها حاضراً بماض ، بل يرسلها الشاعر على السجية أبياتاً محكمة النسج موجزة البيان ويرسلها الكاتب روايات قصيرة متتابعة منسوبة كل رواية منها إلى صاحبها أوراويها أوشهودها ، فأحسن أشعار المتنبى حكم موجزة متتابعة مستقل كل منها ببيت لا تكاد تجمعها علاقة ، وقوام كتب كثيرة كمؤلفات الجاحظ والثعالبى وابن عبد ربه روايات وشواهد متتابعة ، لا يكاد يكون فضل غير جمعها وتبويبها "[1].

هذه هى طبيعة الأدب العربى أما الأدب الغربى فقد كان أكثر حظاً فى الخيال الذى رأيناه فى ملاحم كالأوديسا والإلياذة اليونانية .

وهذا الفارق بين الأدب العربى والأدب الغربى يدعونا لكشف عن طبيعة الفرق بين العقلية العربية والعقلية الأوروبية التى شاع فى أدبها الخيال المجنح ، والاعتماد على الأساطير فى نسج الصور والتعبير عن التجارب،فقد"لاحظ الباحثون والنقاد أن الخيال فى الإبداع العربى ليس خيالاً مركباً .. إنه صورة من الحياة البسيطة ، وهو انعكاس لبيئة صحراوية ممتدة،قد توجد بها الجبال ولكنها لا تكّون أرضاً جبلية تشكل مساحة كبيرة ، فالأرض منبسطة ، والمناخ صحو لا تعكره سحب ولا أمطار ولا ضباب ، من هنا كانت الرؤية الواضحة التى تحددت أمامها حدود الأشياء ، الشىء الذى لم يتوفر للأوروبى الذى يعيش حيث الغابات والجبال والضباب والمطر والسحاب الداكن والرعود القاصفة ، ومن هنا أيضاً

---

(١) فى الأدب المقارن ومقالات أخرى ، فخر أبو السعود ص ٢٦١،٢٦٢

كان هذا المناخ الأوروبى وراء الخيال النشط المركب الـذى خلـق الأسـاطير والحكايات الخرافية ، فالأشياء المرئية لا تبدو فى هذا المنـاخ الضـبابى فـى حدودها المادية الحقيقية ، وقصور الرؤية وسط هذا المناخ المضـبب الراعـد الممطر يسبغ على الأشياء هالات من التهاويل تكون نبعاً لصور مـن الخرافـة أبطالها الجنيات والأشباح والقوى غير المنظورة،بينما البيئة العربية ذات الصحو المناخى ، والوضوح الكامل فى الرؤية لا تتيح للخيال المجال الذى يخلق هـذه الأشياء ، ولذلك كانت الذائقة العربية بعيدة عن الصور الخيالية المركبة بوجـه عام ... إنها أميل ما تكون إلى الخرافة البسيطة وإلى الصور الخيالية الى تحافظ على العلاقات بين الأشياء ، من هنا كان النفور من المبالغات الخيالية فى الشعر والتعقيدات المركبة فى الصورة الشعرية " (١).

ورغم هذه السمة التى عرف بها الشعر العربى من عدم إغراقه فى الخيال، ورغم هذه الظروف البيئية التى جعلت لشعره خيالاً خاصاً إلاّ أن موجة عارمـة من طوفان الحداثة اخترقت الشعر العربى وحاولت صبغه بصبغة خيالية أوروبية سريالية تجريبية ، وأخذ القارئ العربى يطالع كل يوم فى المجلات كمّـاً مـن الأشعار التى استغلقت معانيها على القراء ، واستعصت ألفاظها على التـرابط ، وأغرقت صورها فى الخيال اللامعقول ، حتى انقطع الخيط الذى يـربط مـابين القارئ والشاعر ، وكأن الشعر الحداثى يكتب لأناس غير من يقرأونه ، ولننظر إلى صورة من صور أدونيس اللامعقولة ، يقول :

غنيت قلت لأيامى : رفعت دمى
مدائناً تلد الإيقاع .. قلت لها
مددته غصناً يشتاق .. يحملنى
فى نسغه ، ويضى الموت والكفنا

---

(١) شعر الحداثة فى مصر د/ كمال نشأت ص ١٧٢ .

غنيت قلت لأيامى : أبحت دمى [١]

و يقول أيضاً :

هكذا أحببت خيمة

وجعلت الرمل فى أهدابها

شجراً يمطر (والصحراء غيمة)[٢]

فالأبيات تطالعنا بألفاظ غير مترابطة وصور غير معقولة وغير مفهومة ، فما هى المدائن الى تلد الإيقاع ؟!! وكيف نتصور دمه غصناً يشتاق أويحمله ؟!!! وما علاقة هذا بالمدائن التى تلد ؟!!! وأى تجربة هذه التى يعبر عنها الشاعر الحداثى ؟!!! لاشك فى أن هذا التلفيق الغامض أودى بالشعر ، مما دعا ناقداً كالدكتور كمال نشأت يقول تعليقاً على هذه الأبيات:"أحب الشاعر (خيمة)هنا تعرو القارئ دهشة فيقول:(الشاعر حر يحب ما يشاء) ولكن الشاعر يستحضر بد ذلك صورة الأنثى المحبوبة من النساء،ويخلعها علي (الخيمة) وذلك حين قال:(وجعلت الرمل فى أهدابها)هنا يحاول القارئ أن يتقبل ذوقياً صورة شخص يضع فىعينىحبيبته رمالاً،وطبيعىأن يضحك حينماتكون هذه الحبيبة(خيمة) [٣]

وقد أتى بعض الخيال الحداثى قبيحا لا يتقبله الذوق السوى ، فلا يكشف إلاّ عن قاذورات فى الفكر والخيال ، فهذا محمد سليمان يقول :

تبول ثم انحنى للحوائط كى يسترد من الصخر أعوامه المستحيلة[٤]

فهل صورة التبول جديرة بالتعبير عن استحالة استرداد الماضى ؟! لاشك فى أن

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة لأدونيس ٢/ ١٩٣، الطبعة الخامسة .

(٢) السابق : ٢/٢٧٧

(٣) شعر الحداثة فى مصر ص ١٧٤ ، ١٧٥ .

(٤) مجلة فصول ــ العدد الثالث ــ ١٩٩٢ م ــ ص٢٦٣

هذا اللون من الصور لا يؤدى إلى جدوى فنية .

وقد تكون الصور عند شعراء الحداثة أكثر فكاهة فلا تملك عند قراءة هذه الخيالات العجيبة إلا الضحك ، فهذا فوزى خضر يقول :

أين حذاؤك ؟
فى رئتى؟
أم على ناهديك ؟ وفى شفته ؟
أم على مقلتيك ؟ (١)

أهذا شعر ؟! إن هذه التفاهات لا تستحق أن يعلق عليها ، ومن ذلك قول وليد منير :

وأتانى النوم ملتفاً على نفسى
كأنى خائف أن أتدلى ــ كامل القامة ــ
من خيط دموعى ...(٢)

فأى جمال فى صورة كأنى خائف أن أتدلى ــ كامل القامة ــ وما معنى هذا الاعتراض ولكن لا تفسير لهذا الخيال اللامنطقى اللامفهوم سوى المتابعة العمياء للخيال السريالى الغربى وللصور الحداثية التى شاعت فى أشعار أدونيس ، وقد تكون الصورة قبيحة ولا أخلاقية ولا تستحق إلا أن توصف بالتفاهة فهذا حمدى عابدين يقول فى قصيدة أخرى بعنوان رومانسية :

جئته نهمه
ودمه قاحل
فكيف صار حائطاً
وأمسى أباً للنافذة

---

(١) ديوان من سيمفونية العشق ص١٧

(٢) إبداع ــ إبريل ١٩٨٨م ــ ص٥١

ذات ليلة
التقط الشحاذين
والبرص
وعلقهم على أسياخه
الممتدة
وراح يتفرج على لاعقى
الحصى
وهم يتأبطون أحذيتهم
مفارقين ظل عباءته الثلجى
وكان يرتدى قبعة
وتحت حذائه إصبع
لعجوز
قالت لحجر يخبّئ دودة
تحت جناحه/ هل تحبنى ؟ (١)

أين هذا الغثاء من قول الشاعر هاشم الرفاعى فى قصيدة له بعنوان همسة الليل ؟

إلى ربـــوة البِشـــر يـــا ســـامر ... فقد ضـــاق بالوحـــدة الشـــاعر
تـــــرف علينـــا المنـــى بينمـــا ... يطـــــوف بنا الأمل العاطـــــر
وقـــــد لبس الكون ثوب الظـــلا ... م وآوى إلى وكره الطائـــــــر
نُحـــسُّ هنـــاك جمـــال الحيـــاة ... ويكشف عـــن ســـرها الخـــاطر
ويـــــنفخ فى الناى لحن الهناء ... فيســـكرنا الـــنغم الساحـــــــر
ويمضى بنا الليـــل فـــى نشـــوة ... ولـــــم يسقنا خمرة العاصـــــر
فتغبطنا فـــى الســـماء النجـــوم ... ويحسدنا القمر الساهـــــــــر

---

(١) مجلة الشعر أكتوبر ١٩٩٢م ص٦٢

وينسى فـؤادى مـا قـد جنـا ه عليه حبيبٌ لـه هاجـر [١]

لاشك أن هذا الشعر تقدر العقل والوجدان العربى ، وتصور شعور الشاعر والذى ينسجم ويلتقى مع شعور القارىء وما هذا إلا لأنه يراعى طبيعة الشعور والصورة والخيال العربى ومن هذا النمط أيضاً قصيدة (ما هو الحب)للشاعر محمود أبوالوفا والتى يقول فيها :

ليت شعرى،ما هو الحبُّ [م] ومن أنشأه سحـــــــره ؟
من هو السَّحَّار مـا هـذا ؟ من رمى فـى الأرض بـذره ؟
إنَّـــهُ فى كل عـــــود أخضـر أودع جمـــــره
يا له من ساحر فـــــى جفنه خبَّـأ مكـــــره !
فإذا هَمَّ بأمـــــر أدرك الأمـــر بنظـــــره
وإذا اقتَاد أسِـــــيراً عشق المسـكين أســـره !
لا أرانـــى اليـــوم إلاَّ كاشـــفاً للنـــاس ســـتره [٢]

لاشك فى أن هذا الخيال الشعرى خيال عربى أصيل ، لا يجرف القـارئ إلـى هاوية الأوهام وضلالات اللامعقول التى رأيناها عند شعراء الحداثة.

هذه نماذج من شعر الغزل كانت رداً ــ بما تتسم به مـن خيـال عربـى أصيل ــ على النماذج الغزلية الحداثية التى ذكرناها سالفاً ، وهناك من الأشعار التى تعبر عن الخيال العربى الأصيل فى الموضوعات الشعرية المتعددة والتـى يشاهدها كل مطلع على دواوين الشعر العربى قبل موجة الحداثة .

ولعل أبلغ رد على براعة الصورة الإسلامية ما كتبه الأستاذ الدكتور /

---

(١) ديوان هاشم الرفاعى ص ١٢٨،تحقيق ودراسة محمد كامل حته ، طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م

(٢) محمود أبو الوفا دواوين شعره ودراسات بأقلام معاصريه ص٢١٤، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧م .

على على صبح من تحليل أدبى فنى رائع لكثير من الصور القرآنية والنبوية فى الحديث النبوى الشريف ، وذلك فى كتابيه/ التصـــوير القرآنـــى للقـــيم الخلقيـــة والتشريعية ، والتصوير النبوى للقيم الخلقية والتشريعية فى الحـــديث النبـــوى الشريف . فقد احتويا على نماذج تحليلية تكشف عن براعة الصورة الإســـلامية ومدى ملاحمتها للوجدان العربى ، فالأجدر بالشعراء أن يبدعوا أدبهم فى إطـــار هذا التصور الفنى الإسلامي

٣ــ الإيقاع

أعتقد أن الإسلام لا يختلف مع أى نمط إيقاعى ، مهما كان الشكل الــذى يسير عليه هذا النمط ، سواء أكان عمودياً ملتزما بالأجزاء والمقــاطع والأوزان والتفاعيل وطريقة تكاتفها وتكاملها فى أوزان البحور الشعرية الستة عشر التــى قننها واستخلصها من أشعار القدماء العبقرى العربى الخليل بن أحمد الفراهيدى ، أم كانت هذه الأوزان منطلقة [١] ــ متحررة ــ تسير على نمط ونظام التفعيلــة دون الالتزام بعدد معين من التفاعيل وهو النوع الذى قننت له الناقدة نازك الملا ئكة فى كتابها قضايا الشعر المعاصر ، أم كان شعراً منثوراً أو نثراً مشعوراً ــ

---

(١) دعا الدكتور محمد النويهى فى كتابه قضية الشعر الجديد إلى تسمية الشعر الحر ــ شعر التفعيلة ــ بالشعر المنطلق ، ونقد تسميته بالشعر الحر لأن مدلول هذه التسمية يكشف عن حرية مطلقة من كل إيقاع ، وليس هكذا يكون شعر التفعيلــة ، كمــا أن التعبيــر الغربى الانجليزى (فرى فيرس) أو الفرنسى (فيرليبر) ــ وهو ما ترجم عنــدنا إلــى الشعر الحرــ يدل على تخلص تام من كل إيقاع وهو ما نسـميه اليــوم بالقصــيدة النثرية ، وعليه فإن تسميته بالشعر الحر خطأ والأفضل منها تسميته بالشعر المنطلق ، يراجع قضية الشعر الجديد د/ محمد النويهى ص٢٧٠طبعة معهد الدراسات العربيــة ، ولكنى أعتقد أن تسميته بشعر التفعيلة أكثر تطابقاً مع مفهوم الشعر الحر الــذى يعنــى التخلص من الالتزام بعدد محدد من التفاعيل دون أو التقيد بتكرارها بنفس العدد ، وهو الشعر الحر المعروف لدينا اليوم ، خاصة وأن هذا الشكل الإيقاعى لم يــتخلص مــن التفاعيل المعروفة فى النظام العروضى القديم وإنما يتسم هذا الشكل بتغييــر التنســيق فحسب ، ورغم ما أعتقده من صحة هذه التسمية ــ شعر التفعيلة ــ إلا أنه يبقى فــى النفس شىء خاصة وأن هذه التسمية اختصت بتحديد ناحية واحدة من ألــوان التغييــر والتطوير الذى أحدثه شعر التفعيلة ، وهى ناحية العمود الإيقاعى للشعر ، ويبقى هناك أشكال أخرى لم يشر إليها مصطلح شعر التفعيلة ، كإيحائية اللفظ والصــورة التــى اتسمت بها قصيدة التفعيلة وغير ذلك ، ورغم هذا فإن التجوز مقبول فى تقبــل هــذه التسمية خاصة وأن الوزن اظهر الأشكال التى أصابها التغيير .

كما يقال ــ وهو الذى يتمثل اليوم فى ما يسمى اليوم بقصيدة النثر ، بما تفتقد إليه من إيقاعية موسيقية أياً كان شكل هذا الإيقاع عمودياً تقليدياً أو حراً يسير على نمط التفعيلة فهى لا تلتزم ولا تتقيد بها ، ورغم ذلك فإنها تحمل من سمات الشعر الخيالات والتأثير الوجدانى وروعة التأثير وحسن التخييل وقد كشف الدكتور كمال نشأت عن بداية هذا اللون الشعرى على يد شعراء المهجر الشمالى من أمثال أمين الريحانى وجبران خليل جبران وفى مصر ظهر فى نثر الرافعى ومى زيادة ، وكان حسيب عفيف (١٩٠٢ــ ١٩٧٩م) هو الرائد الأول لا بكتابته النموذج الأقرب إلى التحديد الذى أنشأ جنساً من الكتابة ، ولكن لأنه أول من وضع أسساً وشرحها فى محاضرة ألقاها بنادى موظفى الحكومة بالأسكندرية فى يوم ١٣ديسمبر ١٩٣٦ يقول فى بعض أجزائها:" ورب معترض يقول إن الأوزان الإصطلاحية لازمة للشعر ، والجواب عن ذلك أن الشعر أسبق من الأوزان ،لأن الأوزان من صنع البشر فى حين أن الشعر وجد مع الحياة ، ومادام الشعر قد استطاع فيما مضى أن يعيش حيناً من غير أوزان فهو بعدئذ استطاع أن يعيش بدونها ، ولكن معنى هذا أن الشعر المنثور بتحرره من الوزن الموضوع والقافية يصبح سهل الصياغة كما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة .. كلا بالطبع .. وهو يكمل حديثه فيقول : إن تحرر الشعر المنثور من القافية والوزن الواحد يجعل مهمة الشاعر شاقة عسيرة إذا لاحظنا أن الاضطراب الذى يلابس الوزن والقافية يساعد على إحداث النغمة ويقسر الآذان على متابعته والردوخ لتأثيره ، ولهذا فإن الشاعر الناثر يضطر إلى الاستعاضة عن موسيقى التكرار بموسيقى أخرى يستمدها من القوة الشاعرة نفسها ، وهى موسيقى أبعد منالاً من سابقتها ، وكثيراً ما يضل الشاعر أوتارها إذا هو لم يندمج فى فكرته أو لم يكن بطبيعته عبقرياً " (١)

---

(١) شعر الحداثة فى مصر ص٢٠٢

وقد تفرغ حسين عفيف لكتابة الشعر المنثور وأصدر مجموعات منها مناجاة ١٩٣٤ م والبلبل ١٩٣٩م والغدير ١٩٦٥م والغسق ١٩٦٨م

وكلام حسين عفيف يتناقض مع الواقع ومنهج التطور ، فهو يزعم بأن الشعر بإمكانه أن يعيش بلا إيقاع ووزن ، كما كان بدونها قبل أن يضع البشر الأوزان ، ولا شك فى أن هذه المرحلة الأولى فى إبداع الشعر قد أخذت فى التطور ــ الذى لا يقبل الرجعية أوالردة إلى الماوراء ــ إلى أن استوت الأوزان وأخذت شكلاً إيقاعياً نغمياً أضفى على الشعر جانباً كبيراً من الجمال ، فكيف لنا أن نعود بعد هذا التقدم الفنى إلى المستوى الأقل فى الإبداع ؟!! فضلاً عن إشارة القدماء عند حديثهم حول أولية الشعر إلى أن الإيقاع كان ملازماً لحركة الشعر منذ بدايته ، فالعربى كان ينظم مقطوعاته معبراً عن حاجات نفسه ، يحدو بها إبله ، وهذا يدل على أن الإيقاع كان مصاحباً لحركة الشعر، فضلاً عن أن كلام حسين عفيف يتسم بالغموض والتعميم ، إذ ماذا يقصد بالموسيقى الأخرى التى يستمدها الشاعر الناثر من القوة الشاعرة نفسها ، لئن كان قصده إيحائية الألفاظ وإشعاعها وإلقائها فى النفس جواً خاصاً ينبع من إيقاعها فهذه غاية من المفترض أن تتحقق فى أى شعر سواء أكان عمودياً أم تفعيلة أم قصيدة نثر،فما وجه التطور أوالطرافة فى هذا الشكل الجديد .

وبعد ...فإننى أعتقد أن من الأفضل للأديب أن يكتب إبداعه النثرى الذى يحمل خيالات الشعر تحت مسمى النثر الوجدانى أوالخيالى ، ولا يعيبه أبداً أن يقال عنه أنه ناثر وإنما العيب فى أن ينسب جنس أدبى إلى ما لا يتصل إليه بصلة ، ويحاول فرضه عليه بدعوى الحرية .

وأرى أن الالتزام بحرفية الإيقاع المتمثل فى الأنماط العروضية الموروثة والمتمثلة فى البحور الستة عشر الخليلية ليس أمراً حتمياً ، ومما يؤكد هذا أن المعلقات ــ وهى ما هى فى الشعر الجاهلى براعة وجمالاً ــ عدوا من بينها

معلقة عبيد بن الأبرص ، وبها من الخلل الإيقاعى ــ الوزن ــ مالا يخفى على دارس على العروض ، وحتى فى مطلعها الذى يقول فيه : أَقفَرَ مِن أَهلِهِ مَلحوبُ فَالقُطَبِيّاتُ فَالذَنوبُ [1]

فالشطر الأول يأتى على التفاعيل الآتية: أَقفَرَمِن أَهلِهِمَل حُوبو

مُفتَعِلُن مُفتَعِلُن فَعلُن

فهذا الوزن لايستقيم مع تفعيلات مخلع البسيط الذى تسير عليه أغلب أبيات القصيدة كقوله : إمّا قَتيلاً وَإمّا هالِكاً وَالشَيبُ شَينٌ لِمَن يَشيبُ ورغم هذا فإنها معدودة واحدة من روائع الشعر الجاهلى ، فهذا يدل على أن الأقدمين أنفسهم لم يكن الأمر عندهم إلزامياً قهرياً ، ورغم هذا فإن ظروف عصرهم وطبيعة الذوق العربى فى العصور الأموية والعباسية كان أكثر تقبلاً لنمط الإيقاع العمودى ، فلم تكن هناك حاجة ماسة إلى تغيير هذا النمط العمودى ، اللهم إلاّ فى نظام الموشحات ، ورغم أصالة هذا الشكل الموسيقى التقليدى فإن الباب مفتوح للتطوير والتجديد ، ولا أظن أن تغيير النمط الإيقاعى والأوزان فيه إضاعة لحرمة من حرمات الدين حتى نتمسك بتلابيب موسيقى القصيدة العربية الموروثة التى نجلها ونقدرها فى نفس الوقت .

والوزن ــ فيما أعتقد ــ أداة من أدوات الشاعر الشعرية ، فهو الذى يملك زمامها لا هى التى تقود أفكاره ، فكما أن من حق الأديب أن يبتكر صورة طريفة جديدة كذلك من حقه أن يبتكر وزناً إيقاعياً جديداً ، ولا يخفى أن الأخفش قد تدارك بحراً على الخليل ، وبديهى أن الأوزان فى أصل وضعها من صنع الشعراء ، " كذلك نجد أبا العتاهية ــ أى الفاعلية الشعرية نفسها ــ يقول ما معناه أنه أكبر من العروض ، أى أن الفاعلية الشعرية هى المنتجة للإيقاع ،

---

١ ديوان عبيد بن الأبرص ص ٥ تحقيق/تشارلز لايل.قدم للطبعة الثانية . د/محمد عونى عبد الرءوف،طبعةدار الكتب المصرية. الطبعة الثانية١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م

وعلـــى علماء العروض أن يصفوا ما تنتج " [١].

وقد اقترح الدكتور كمال أبوديب بديلاً جذرياً ــ كما أسـماه ــ لعـروض الخليل [٢] يقوم هذا البديل على اقتراح عودة التفاعيل كلها إلى تفعيلة واحـدة (فاعلن) ومقلوبها(فعولن) أى عودة نواة التفاعيل إلى نواتين وهما(//٥) و (/٥) وهما ما اصطلح العروضيون على تسميتهما بالوتد والسبب ، وأن أى تفاعيـل أخرى ما هى إلا نابعة من تكوينات هاتين النواتين ــ السبب والوتد ــ وفى حالة تلاقى ثلاث حركات كما فى تفعيلـة متفـاعلن (///٥//) وتفعيلـة مفـاعلتن (//٥///) فقد عبر عن المتحرك الذى فى أول متفاعلن والرابع فى مفاعلتن بأن أصله النـــواة (فا ــ/٥) حذفت منها الساكن فصارت (ف ــ/)،وقد عبر عن هذه الحالة بقوله:(الظاهرة الوحيدة التى تجسد شيئاً من الشذوذ)،وقد رمز لهذا الحرف المتحـرك بـــ(O) بدلاً من الحركة المعتادة فى تقطيع الخليل(/) ، ولننظر إلى أحد البحور التى قطعها الدكتور/كمال أبوديب والتقطيع العروضى لهـا: (بحـر الطويل):

الوزن القديـم: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

//٥/٥ //٥/٥/٥ //٥/٥ //٥/٥/٥

البديل المقترح: علن فا علن فا فا علن فا علن فا فا

//٥ /٥ //٥ /٥ /٥ //٥ /٥ //٥ /٥ /٥

وهكذا نراه ينظر إلى وحدة النواة ــ الأسباب والأوتاد ــ لا وحدة التفعيلة، أمـا تقطيعه للوزن الذى يلتقى فيه ثلاثة متحركات مثل تفعيلة مفاعلتن //٥///٥ كما

---

(١) فى البنية الإيقاعية للشعر العربى د/كمال أبو ديب ص ٤٥ دار العلم للملايين الطبعـة الأولى ١٩٧٤م.

(٢) يراجع ما كتبه فى ص ٤٣ من كتابه فى البنية الإيقاعية للشعر العربى

فى بحر الوافر فيأتي على هذا النمط والشكل :

الوزن القديم لبحر الوافر: مفاعلتن مفاعلتن مفاعلتن

٥///٥// ٥///٥// ٥///٥//

البديل المقترح: علن ف علن علن ف علن علن ف علن

٥// O // ٥// O ٥// ٥// O // ٥//

فالعين فى مفاعلتن تمثل نواة مبتسرة من(فا) كما فى البديل المقترح وهى حرف واحد(فـ) ورمز إليها بالرمز (O)

وقد كشف عن مميزات هذا البديل الإيقاعى بقوله : " يتأكد من كل ما سبق أن النظام البديل المقترح هنا قادر على وصف نماذج التشكيلات الإيقاعية فى الشعر العربى بسهولة فائقة ولكن الوصف حتى الآن اقتصر على التشكيلات الستة عشر المعروفة وتناولها بأشكالها التامة إلى هذا الحد يمكن القول أن البديل يحقق درجة قصوى من الانسجام ، إلاَّ أن إيقاع الشعر العربى من التنوع بحيث أن التشكيلات الإيقاعية يغلب عليها أن تتخذ فى نتاج الفاعلية الشعرية أشكالاً عدة تختلف اختلافاً مهماً أحياناً عن تركيبها التام ، من هنا لايمكن أن توصف أى نظرية فى إيقاع الشعر بالكمال إلاَّ إذا كانت قادرة على احتواء التحولات التى تعترى جميع التشكلات الإيقاعية، ومن المؤكد أن قصور نظام الخليل يرجع بشكل رئيسى تعقد الطرق التى حاول بها وصف التحولات وربطها بالنموذج الكامل للبحور ، هذا ما عرف فى العروض التقليدى بالزحاف والعلل ، إنَّ نظرة عامة فى الزحاف والعلل تشعر بمدى صعوبتها وباستحالة الإحاطة بتفرعاتها العجيبة العدد لا شك أن نقطة التعقيد الأولى فى عمل الخليل هنا هى اضطراره إلى دراسة الزحاف الممكنة فى كل بحر بشطريه وبكل تفعيلة فيه أحياناً ، وتبدو عبثية نظام الخليل حين يضطر إلى التفريق بين الوحدات الحركية المتحدة الهوية ، والتفريق بين الزحاف الممكنة فيها ، المثل الأعلى على هذا هو القول بأن

التتابع الحركى (/٥//٥/٥) قد يكـون مؤلفـاً مـن (/٥ــــ/٥/ــــ/٥) أو مـن (/٥ــ/٥ــ//٥) وأن التتابع (/٥//٥/٥)قد يكون مؤلفاً من (/٥/ــ/٥ــ/٥) أو من (/٥ــ//٥ــ/٥) ، يبلغ الأمر ذروة الاستحالة حين يمضى العرضيون ليقولوا أن ما يجوز فى واحد من التشكيلين فى كل حالة غير ما يجوز فى الآخر ، وهـذا العبث المطلق يشعر بأن العرضيين ينسون أن ما يحللونه هوكلمة أو تعبير عربى ذو تتابع صوتى معين له شكل واحد وواحد فقط، والأمثلة على ذلك كثيرة " (١).

ورغم أن هذا البديل غرضه الأساسى التخلص من تعقيدات النظام الخليلى ــ كما يدعى ــ والتخلص من الزحاف والعلل وتعقيداتها ، رغم أن هـذا هـو الهدف من هذا البديل إلاَّ أن هذا البديل لم يتخلص هو الآخر من التعقيد إذ أنه لم يحدد نمطاً إيقاعياً جديداً جذرياً ــ كما يقول ــ وإنما ترك العنان لكل ما يـأتى على فعولن وفاعلن وجعلهما أوزاناً أصلية أساسـية لا وجـود لأوزان سـواها يقول:"أعتقد أن هذا المبدأ يوضح كل التحولات الممكنة وغير الممكنة فى الإيقاع العربى .....إننا نحلل ما يرد فعلاً فى الإيقاع الشعرى ولا يهمنا ما لا يـرد سواء احتمل وروده نظرياً أم لا ، عدم ورود (////٥) يعنى شيئاً بسيطاً:أنها لـم ترد! ولايعنى أن المبدأ ذاته غير صحيح ، ما نقوله هو هـذا : إذا وردت فـى إيقاع عربى ، الآن أو فى المستقبل فهى مبررة لا تخرج علـى نظـام الإيقـاع الشعرى عند العرب " (٢)

وهذا القدر من الحرية يجعل الشعر ينفلت من الإيقاع والجمـال النغمـى الموسيقى ، فلا نستطيع أن نمنع دخول أى كلام عادى يندرج نغمياً تحت نظـام الإيقاع الجديد والنواة الإيقاعية المتمثلة فى السبب والوتد، فهذا الإيقاع المقتـرح يمكن أن نطلق عليه بأنه غير مانع كما يقول المناطقة ، خاصة وأنـه أعطـى

---

(١) السابق ص٤٣

(٢) السابق ص٧٦، ٧٧

تبريراً لتلاقى ثلاث متحركات ، كما إن هذا النظام تعليمياً أكثر منه كنظرية فنية موسيقية ، حيث إنه يسهل على الدارس معرفة التقطيع العروضى من خلال تحديده فى تفعيلتين فحسب .

وبعد فإننى أرى أن نظام التفعيلة المتمثلة فى البحور الخليلية ، أو نظام التفعيلة غير المقيدة فى شعر التفعيلة ــ الشعر الحر ــ أكثر جدية من هذا البديل الإيقاعى الذى لم يقدم شيئاً سوى تغيير النظر والفهم للتفاعيل القديمة .

ولننظر بعد هذه الإطلالة على علاقة الأدب الإسلامى بالإيقاع ، إلى قصيدة من روائع الشاعر محمود حسن إسماعيل بعنوان [بين الله والإنسان] قدم لها بمقدمة كشفت عن جانب من جوانب التجربة المتقدة بلهيب النقد للازدواجية التى أفسدت الأمة . يقول :

" إلى الذين دميت جباههم من السجود

وعميت قلوبهم عن الإنسان ! ! "

إن كنت لا تعرف سر دمعة يذرفها الفقير

يسقى بها خريفه العطشان فى لهاثه المرير

فيزرع الوهم على جفونه بستانه النضير

... ثماره دانية القطاف

... ظلاله وارفة الضفاف

لكنها لاشىء .. حين ينحنى ، ويبسط اليمين

حزينة ، مسكينة ، مقهورة الدعاء والأنين

تقول من حسرتها: رباه !

يا مسرعاً فى خطوه لله :

خفقة قلب تنقذ الحياه

وتخدع المحروم عن أساه !!

إن كنت لا تبصر هذا السر فى خشوعك القرير

أى شيء نحوه سبابة كذابة تشير ؟!!

إن كنت لا تسمع سر آهة على فم اليتيم (١)

والقصيدة كما نرى لم يلتزم فيها الشاعر النمط الإيقاعى الخليلى ، فيستخدم ــ فى الغالب ــ تفعيلة مستفعلن دون الالتزام بعدد معين من التفاعيل ، فنرى الإيقاع الموسيقى يناغم الحالة الشعورية للضعفاء فى استجدائهم للعطاء الربانى من خلال الامتداد الشعورى والمعبر عنه فى إيقاع لفظ ربّاه بما يحمله من شدة وانفجار وامتداد من خلال إيحاءاته الإيقاعية ، ورغم أنه عبر عن الامتداد الشعورى إلاّ أن السطر الشعرى جاء قصيراً موجزاً ليلائم الصورة الواقعية لألفاظ دعاء المساكين ، لاشك فى أن هذا الإيقاع عبر عن شعور الشاعر بدقة ، ونظير هذا فى باقى القصيدة كثير وكثير .

وبعد ..... فإننى آمل أن تكون هذه الصفحات قد كشفت عن بعض الشبهات التى وجهت إلى الأدب الإسلامى ووفقت فى الرد عليها ، راجياً الله تعالى أن يهدينا سبل الرشاد إنه على ما يشاء قدير .....

---

(١) الأعمال الكاملة لـ محمود حسن إسماعيل ،١٣٥٣/٢ ، ١٣٥٤

المراجع والمصادر

١. آراء حول قديم الشعر وجديده .مجموعة كتاب ، كتاب العربيأكتوبر ١٩٨٦م

٢. أخبار أبى تمام . للصولى – نشر خليل محمد عساكر وآخرين ، طبع سنة ١٩٣٧م .

٣. الأدب الإسلاميأصوله وقضاياه د/محمد على سلامة.مكتبة الآداب بالقاهرة

٤. الأدب الإسلاميبين النظريةوالتطبيق أد/علىعلىصبح١٤١٨-١٩٩٨

٥. الأدب الإسلامى ضرورة د/ أحمد محمد على،دار الصحوة الأولى١٤١١ـــ ١٩٩١

٦. الأدب المقارن – د/ محمد غنيمى هلال طبعة دار نهضة مصر .

٧. الأدب المقارن الطاهر مكى دار المعارف

٨. الأدب وفنونه د/ محمد عنانى – الهيئة المصرية للكتاب – مكتبة الأسرة ١٩٩٧م

٩. الأساطير د/ أحمد كمال زكى مكتبة الأسرة ٢٠٠٢م .

١٠. أسس النقد الأدبىعند العرب د/أحمد أحمد بدوى دار نهضة مصر ١٩٩٤.

١١. الأصنام لابن الكلبىتحـ أحمدكمال زكى دار الكتب الطبعة الخامسة ١٤٢٣هـ

١٢. الأعمال الشعرية الكاملة لأدونيس ، الجزء الثانى الطبعة الخامسة

١٣. الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل طبعة سعاد الصباح الأولى ١٩٩٣

١٤. الأغانىَ. لأبىالفرج الأصفهانى طبعة دار الكتب المصرية- الطبعة الثانية.

١٥. الاتجاه الإسلامىفىشعرمحمود غنيم أ د/عبداللطيف محمد الحديدى دار المعرفةا بالمنصورة الطبعة الأولى ١٤٨١ هـ ١٩٩٨ م

١٦. الإسلام والشعر . د/ سامى العانى طبع عالم المعرفة-عدد يونيو سنة ١٩٨٣م .

١٧. الإشارات الإلهية لأبى حيان. تحـ وداد القاضى دار الثقافة بيروت ١٩٧٣م

١٨. إعجاز القرآن للباقلانىشرح د/محمد عبدالمنعم خفاجى دارالجيل الأولى ١٩٩١م .

١٩. بحوث ندوة الأدب الإسلامى سنة ١٤٠٥ هـ بالرياض : ص٨٦ [جُمعت هذه البحوث فى كتاب طبعته جامعة الملك عبد العزيز بن سعود عام ١٤٠٥ هـ].

٢٠. البيان والتبيين للجاحظ تحقيق / عبد السلام هارون -الخانجى الخامسة ١٩٨٥م.

٢١. التصوير القرآنى للقيم الخلقية والتشريعيةأد/على صبح المكتبة الأزهرية للتراث

٢٢. التصوير النبوى للقيم الخلقية والتشريعية أد/على صبح المكتبة الأزهرية للتراث

٢٣. جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى تحـ/علىمحمد البجاوى دار نهضة مصر

٢٤. الخصائص لابن جنى : مطبعة الهلال سنة ١٣٣١ هـ ١٩١٣ م .

٢٥. دراسات أدبية . د/ أحمد هيكل طبعة دار المعارف - الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م .

٢٦. ديوان امرؤ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف الطبعة الثالثة .

٢٧. ديوان ابن الفارض شرح مهدىمحمدناصر الدين دار الكتب العلمية الأولى ١٤١٠

٢٨. ديوان عبيد تحـ/تشارلز لايل دار الكتب المصرية الثانية ١٤٢٣هـ /٢٠٠٣م.

٢٩. ديوان محرم : ج١ مج٢ مكتبة الفلاح الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨ م

٣٠. ديوان هاشم الرفاعىتحـ/محمد كامل حته الهيئة العامة للمطابع الأميرية ١٣٨٠هـ

٣١. رسائل الانتقادلابن شرف القيروانىتحـ/حسن عبد الوهاب دار الكتاب الجديد

٣٢. شعراءالدعوةالإسلاميةلـ/أحمدالجدع وحسنىأدهم جرار السنة الثانية عدد ٨ ١٤١٦

٣٣. شعر الحداثة فى مصر. د/ كمال نشأت طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٣٤. الشعر الصوفى بين مفهوم الانفصال والتوحد ، تأليف وفيق سليطين تقديم د/نصر حامد أبوزيد الناشر مصر العربية للنشر والتوزيع القاهرة الطبعة الأولى ١٩٩٥

٣٥. الشعر والشعراء لابن قتيبة تحـ مفيد قميحة دار الكتب العلمية ، الثانية ١٩٨٥م .

٣٦. صحيح البخارى . تحقيق / طه عبد الرؤف سعد ، مكتبة الإيمان بالمنصورة

٣٧. طبقات فحول الشعراء . لابن سلام الجمحى تحـ/ محمود محمد شاكرمطبعة المدنى

٣٨. العقد الفريدلابن عبد ربه تحـ/أحمد أمين وأخرون الهيئةالعامةللثقافة٢٠٠٤

٣٩. العمدةلابن رشيق تحـ محيى الدين عبد الحميد دار الجيل الخامسة١٤٠١هـ١٩٨١

٤٠. فى الأدب المقارن ومقالات أخرى ، فخرى أبو السعود الهيئة المصرية العامة

٤١. فى البنية الإيقاعية للشعر العربىد/كمال أبو ديب دارالعلم للملايين الأولى١٩٧٤

٤٢. فى النقد الأدبى د/ شوقى ضيف : طبعة دار المعارف الطبعة الثامنة

٤٣. فى نقد الشعر د / محمود الربيعى طبعة دار المعارف سنة ١٩٦٨م

٤٤. فى النقد الأدبى الأسلامى أ.د/إبراهيم عوضين مطابع الشناوى بطنطا

٤٥. القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه ، عبد الكريم الخطيب ، مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٣٨٤هـ ١٩٦٤ م

٤٦. قضية الشعر الجديد د/ محمد النويهى طبعة معهد الدراسات العربية

٤٧. قيم جديدةللأدب العربىد/ عائشة عبد الرحمن-دار المعارف الطبعة الثانية

٤٨. قيم من التراث د/ زكى نجيب محمود دار الشروق

٤٩. لطائف المنن لابن عطاء الله السكندرىالمطبعة الفخرية الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ

٥٠. محمود أبوالوفا دواوين شعره طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٧م .

٥١. مدخل إسلامى لدراسة الأدب العربى المعاصر/دإبراهيم عوضين السعادةالأولى

٥٢. مدخل إلى الأدب الإسلامى د/ نجيب الكيلانى كتاب الأمة الطبعة الأولى ١٤٠٧

٥٣. معجم الأدباء لياقوت الحموى تـ مرجليوث ، القاهرة ١٩٢٤ ،

٥٤. منهج الفن الإسلامى . أ / محمد قطب- طبعة دار الشروق - الطبعة السابعة

٥٥. المهابهاراتاوالرامايانا ترجمة سريال عبد الملك/الهيئة المصرية للكتاب ١٩٩٠م

٥٦. الموازنة بين الشعراء . د / زكى مبارك مطبعة الحلبى الطبعة الثانية سنة ١٩٣٦م

٥٧. الموشح للمرزبانى ، ت/على محمد البجاوىطبعة دار الفكر العربى

٥٨. نحو أدب إسلامى معاصر أسامة يوسف شهاب دار البشير الطبعة الأولى١٤٠٥هـ

٥٩. نحو مذهب إسلامى فى الأدب والنقد . د/ عبد الرحمن رأفت الباشا : ص ٩٦ - دار الأدب الإسلامى الطبعة الثالثة سنة ١٩٩٦م.

٦٠. نفحات ولفحات شعر د/ يوسف القرضاوى دار الوفاء الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ

٦١. النقد الأدبى أصوله ومناهجه سيد قطب دار الشروق .

٦٢. النقد الأدبى الحديث د/محمد غنيمى هلال طبعة نهضة مصر القاهرة

٦٣. نقد الشعر . قدامة بن جعفر تحقيق/ كمال مصطفى - طبعة الخانجى

الطبعة الثالثة

٦٤. الوساطة للجرجانى تحـــ هاشم الشاذلىدار إحياءالكتب العلمية

٦٥. يتيمة الدهر للثعالبى تحـــ / مفيد قميحة – دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ١٩٨٣م

الدوريات

٦٦. إبداع عدد إبريل ١٩٨٨م وعدد نوفمبر سنة ١٩٨٩م

٦٧. مجلة الأدب الإسلامى . العدد ٢ وعدد (٥). وعدد ٨

٦٨. مجلة الدارة – عدد ١ السنة ٢٠ . وعدد (٤)

٦٩. مجلة الشعر أكتوبر ١٩٩٢م

٧٠. مجلة فصول . مجلد ٥ عدد ٤ سنة ١٩٨٥ .

٧١. مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة عدد ٢٠